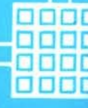
علام المسلمين

٥٨



تأليف

محمد عبد الله أبو صعيليك



دار القلم

دمشق



إمامُ أهلِ الأندلسِ

تأليف

محمد عبد الله أبو صعيليك

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١ - هاتف : ٣١٦٠٩٣


الإمام ابن حزم الظاهري
إمام أهل الأندلس

هٰـذا الرَّجُـل

● «ابن حزم الأوحد البحر، ذو الفنون والمعارف».

● «. . . الفقيه، الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير، الظاهري، صاحب التصانيف».

الحافظ الذهبي

● «كان فاضلاً في الفقه، حافظاً في الحديث، مصنفاً فيه، وله اختيار في الفقه على طريقة الحديث، روى عن جماعة من الأندلسيين كثيرة، وله شعر ورسائل».

الأمير أبو نصر بن ماكولا

● «كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، ومستنبطاً للأحكام في الكتاب والسنة، متفنناً في علوم جمة، عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله من الوزارة وتدبير الممالك، متواضعاً ذا فضائل جمّة، وتواليف كثيرة في كل ما تحقق به في العلوم، وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً، سمع سماعاً جماً».

الحميدي



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمدٍ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين، وبعد: فإن التاريخ رسالة السلف إلى الخلف، بها نقلت علومهم، وحفظت أخبارهم، ونُصّت وصاياهم، واقتفيت آثارهم، ولقد كان لعلمائنا اهتمام بالغ بالتاريخ، ولقد كان من فروعه تراجم الشخصيات المهمة في شتى ضروب المعرفة. ولذا فقد رغبت في أن أكتب في ترجمة شخصية موسوعية هامة في حياة المسلمين العلمية، وهذه الشخصية هي الإمام العلم العالم العامل أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري رحمه الله تعالى، ولقد حداني للكتابة عن هذا الرجل أمور هي:

١ـ الموسوعية في المعرفة التي كان يتحلى بها ابن حزم رحمه الله، فهو الفقيه والأصولي، والمحدث، والمؤرخ، وعالم الفرق والأديان، والأديب واللغوي وعالم المنطق، إلى غير ذلك من أبواب المعرفة الإنسانية التي برع فيها.

٢ـ أن هذا رجل تضاربت فيه أقوال الدارسين، فمن متعصب له،

ومتعصب عليه، وهذا خلاف المنهج العلمي في دراسة الأشياء، فالإنصاف يلزمنا بأخذ ما عند الرجل من خير، وهو بلا شك كثير، وبترك ما عنده من خطأ، وهو بفضل الله قليل إذا قورن مع الخير الذي عنده، والنبي ﷺ يقول: «إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث»[1]، ولا شك أن عند أبي محمد قلالاً لا قلتين، وخطأ أبي محمدٍ لا يذهب هذه القلال.

٣ـ الخروج عن المألوف في دراسة التراجم، فقد أحيط ابن حزم بهالة قاتمة عند كثير من الدارسين الذين يتعاملون مع تراثه بحذر، وذلك لما ألفوا من دراسات تمنع بظلها من متابعة آثار هذا الرجل، حتى كانت المقولة الظالمة: «من الحزم ألا تأخذ عن ابن حزم».

سامح الله قائلها، وعفا عنه، بل الحق أن يقال: «من قلة العزم عدم الأخذ عن ابن حزم».

٤ـ حالة النكران بالجميل التي يعيش فيها ناشئة اليوم مقابل ما أسداه لهم أجدادهم من أهل العلم والفضل، والتي جعلتنا نحفظ أمجاد غيرنا، ونغضي الطرف عن أمجادنا، ونزري بتاريخنا، ونعتز بتاريخ غيرنا، حتى أننا أسلمنا أمر تدوين تاريخنا إلى زمرةٍ من أعدائنا ليقوموا بتدوينه ودراسته.

---

(١) رواه أبو داود برقم ٦٣، والنسائي في الصغرى ١/ ٤٦ وغيرهما.

لهذه الأمور أحببت الكتابة عن ابن حزم، ولا شك أن عند أبي محمد العطاء الكثير، والعلم الوفير، ولعل في دراستنا هذه ما يلقي بعض الضوء على هذه الشخصية الأندلسية المهمة، خاصة وأننا نتفيأ ظلال أيام كأيام الأندلس عند انفراط عقدها، وإزراء أبنائها بها، وتكالب الأعداء عليها، وعجز الصادقين عنها، وإقدام الفجرة فيها، وما أشبه اليوم بالبارحة، أسأل الله لنا ولأمتنا كل الخير، وأن يبعد عنها كل شر، وأن يجعل هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكتب أجره لوالدتي عليها رحمة الله.

وبالله التوفيق.

محمد عبد الله أبو صعيليك



البَابُ الأوّل

حياةُ ابنِ حزمٍ وعصرُهُ

وفيه المباحث التالية :

١ـ عصر ابن حزم .

٢ـ اسمه .

٣ـ كنيته .

٤ـ نسبه .

٥ـ مولده .

٦ـ نشأته العلمية .

٧ـ شيوخه .

٨ـ سبب تعلمه الفقه .

٩ـ رحلته في طلب العلم .

١٠ـ المناصب التي وليها .

١١ـ المحن في حياة ابن حزم .

١٢ـ ثناء العلماء عليه .

١٣ـ تلامذته .

١٤ـ مصنفاته .

١٥ـ عقيدته .

١٦ـ مذهبه الفقهي .

١٧ـ وفاته .

١٨ـ صفاته .

حياة ابن حزم وعصره

١ ـ عصر ابن حزم:

عاش ابن حزم في الفترة الواقعة بين سنتي ٣٨٤ هـ ـ ٤٥٦ هـ، يعني في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، وبداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، ويمكن وصف هذه الفترة التاريخية من خلال النقاط التالية:

١ ـ ساد الاضطراب السياسي الأندلس في تلك الفترة، فقد كان الخليفة بالأندلس هشام بن عبد الملك الملقب بالمؤيد إلى سنة ٣٩٩، ثم خلفه محمد المهدي بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر إلى سنة٤٠٣ هـ، وقد ثار عليه سليمان المستعين بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، فأخذ منه قرطبة، وكانت بينهما خطوب إلى أن قتل المهدي، وانتهت مدة المستعين سنة ٤٠٨، ثم كانت البلاد الأندلسية ميداناً للنزاع بين أعتاب الأمويين والعلويين من ذرية إدريس بن عبد الله، فكانت الحال هناك في اضطراب يشبه ما كان في الشرق ويزيد عليه[١].

---

(١) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠.

٢ـ كانت تلك السنين سنوات ازدهار علمي، يقول العلامة محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى: «لقد كان عصر ابن حزم عصر العلم حقاً في الأندلس، فقد انصرف إليه أمراء بني أمية مجاراة لأولاد عمومهم العباسيين في الشرق، فذخرت مجالسهم بالعلماء، وامتلأت مكاتبهم بالكتب»[(١)].

٣ـ سادت حالة من الخضوع والصغار لأعداء الإسلام حتى دفعت الأتاوات لطاغية النصارى، وقد وصف هذا الحال العلامة المقري فقال: «... واستقل بأمرها منهم ملوك استفحل وعظم شأنهم، ولاذوا بالجزى للطاغية أن يظاهر عليهم، أو يبتزهم ملكهم»[(٢)].

٤ـ كان المجتمع الأندلسي منوع العناصر، ففيه العرب الخلص، وفيه البربر، والصقالبة، وكان فيه المسلم، وغير المسلم، وكان الجامع المشترك بينهم المظهر الأدبي والفكري الموحد الذي وحدته لغة القرآن[(٣)].

٥ـ سادت حالة من الرخاء في العيش الأندلسي، على الرغم من المحافظة على التقاليد، فقد وجدت حالات من اللهو الماجن أحياناً في

---

(١) ابن حزم ص١٧.
(٢) نفح الطيب ١/ ٤١٣.
(٣) ابن حزم وموقفه ص١٠٤ ـ ١٠٦ بتلخيص.

منتزهات قرطبة وغيرها من بلاد الأندلس[1].

٦ـ ظهرت ظاهرة اجتماعية تمثلت في اتخاذ الدين وسيلة إلى الحياة، وذريعة إلى الغض من الخصوم، وقد استغل هذا بعض الحكام ضد خصومهم، وقد اكتوى ابن حزم بنار هذه الظاهرة الخطيرة[2].

٧ـ عرف الوسط الاجتماعي الأندلسي بأنه حافل بشتى مظاهر الاختلاط، كاختلاط العناصر والسلالات، واختلاط أهل الأديان، واختلاط الجنسين، وهذه وإن كان لها دور في الانحلال الخلقي والتفكك الاجتماعي إلا أن لها دوراً في تنشيط الحركة الفكرية في الأندلس[3].

من خلال تلكم النقاط يمكننا أن نصل إلى تكوين صورة صحيحة للمجتمع الأندلسي الذي خرج منه ابن حزم، والذي كان له أثر على شخصية هذا العالم الجليل، بما لعلنا لا نبخس الرجل حقه، ولا نغمط مجتمعه قدره.

٢ـ اسمه:

هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن

---

(١) ابن حزم وموقفه ص١٠٨ بتصرف.
(٢) ابن حزم وموقفه ص١٠٩ بتلخيص.
(٣) ابن حزم وموقفه ص١٠٨ ـ ١٠٩ بتلخيص.

خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد[1].

٣ـ كنيته:

أطبق مترجموه على أن كنيته أبو محمد[2].

٤ـ نسبه:

يرى معظم من ترجم له أنَّه فارسي الأصل، وأنَّ جده الأقصى يزيد هو أول من أسلم من أجداده، وأنه مولى ليزيد بن أبي سفيان[3] ويرى بعض من ترجم له أنه ليس كذلك وأنه إسباني الأصل، يقول ابن حيان: «وقد كان من غرائبه انتماؤه في فارس، واتباع أهل بيته له في ذلك حقبة من الدهر تولى فيها أبوه الوزير المعقل في زمانه، والراجح في ميزانه، أحمد بن سعيد بن حزم لبني أمية أولياء نعمة لا عن صحة ولاية لهم عليه، فقد عهده الناس خامل الأبوة مولد الأرومة من عجم لبلة جده الأدنى حديث الإسلام، لم يتقدم لسلفه نباهة»[4]. وقال ابن سعيد: «وادعى أنه من الفرس، وهو خامل الأبوة من عجم لبلة»[5] هذا وقد رد الباحثون هذا الذي ذكره كل من

---

(١) معجم الأدباء ١٢/ ٢٣٧.

(٢) الجذوة ص٣٠٨.

(٣) الجذوة ص٣٠٨، والصلة ٢/ ٣٩٥، معجم الأدباء ١٢/ ٢٣٧.

(٤) معجم الأدباء ١٢/ ٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٥) المغرب١/ ٣٥٥.

ابن حيان وابن سعيد، وقد كانت ردودهم عليهما كما يلي:

١ـ إن كلمة أبي حيان مجرد دعوى، وإن من سبق أبا حيان أو لحقه من ثقات المؤرخين قد نص على فارسية أبي محمد.

٢ـ وأنه لا سالفة لابن حيان في ذلك.

٣ـ وأن أبا محمد نص على نسبه في شعره، وفي ضميمته عن بني حزم، والمسلمون مؤتمنون على أنسابهم[١].

٥ـ مولده:

ولد أبو محمد قبل طلوع الشمس، وبعد سلام الإمام من صلاة الصبح آخر ليلة الأربعاء آخر يوم من شهر رمضان من سنة ٣٨٤ هـ[٢]. وهذا منقول عن صاعد الذي روى ذلك عن أبي محمد نفسه، وتناقل ذلك عنه مؤرخو ابن حزم، وقد كانت ولادته بقرطبة[٣].

٦ـ نشأته العلمية:

وصف الحافظ الذهبي نشأة ابن حزم فقال: «نشأ في تنعم ورفاهية، ورزق ذكاء مفرطاً، وذهناً سيالاً، وكتباً نفيسة كثيرة»[٤]،

---

(١) ابن حزم خلال ألف عام ١/ ٩٤.
(٢) الصلة ٢/ ٣٩٦.
(٣) الصلة ٢/ ٣٩٦.
(٤) السير ج ١٨ ص ١٨٦.

وهذا يحدد العوامل المساعدة لابن حزم على تلقي العلم، من غنى يتيح له التفرغ لطلب العلم، إلى ذكاء متوقد، إلى حافظة قوية، إلى مكتبة ينهل منها، ولقد أُتيح له أنْ تربيه النساء، يحدثنا رحمه الله تعالى عن هذا فيقول:

«لقد شاهدت النساء، وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري لأني رُبِّيت في حجورهن، ونشأت بين أيديهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب، وحين تَنَيَّلَ وجهي[١]، وهُنَّ علمنني القرآن، وروينني كثيراً من الأشعار، ودربنني في الخط»[٢]، إذاً قد صرح الرجل ببدء نشأته، وبدء تعلمه، ولكن لئن ربته النساء إلا أن والده رحمه الله ما ترك ملاحظته ومراقبته، فقد صرح أبو محمد بهذا فقد قال: «وكان السبب فيما ذكرته أني كنت وقت تأجج نار الصبا، وشرة الحداثة، وتمكن غرارة الفتوة مقصوراً محظراً عليّ بين رقباء ورقائب»[٣].

فهذا وصف نشأته، وحفظ الله له من انحراف الشباب، وأخذه لمبادىء العلوم، وتوجهه إلى التحصيل.

---

(١) أي كبر وتمّ نموه.
(٢) طوق الحمامة ص ١٦٦.
(٣) طوق الحمامة ص١٦٦ ضمن رسائل ابن حزم، الجزء الأول.

٧ـ شيوخه :

من كان هذا وصفه في تهيؤ الفرص له لطلب العلم، كما مرَّ معنا قبل قليل، فلا بد له من أن يجالس الشيوخ، ويأخذ عنهم، وهكذا كانوا في زمانهم ذاك، ولقد أخذ أبو محمد عن شيوخ كثرٍ نذكر منهم ما يلي :

١ـ يحيى بن مسعود بن وجه الجنة صاحب قاسم بن أصبغ.
٢ـ أبو عمر أحمد بن محمد بن الجسور.
٣ـ يونس بن عبد الله بن مغيث القاضي.
٤ـ حمام بن أحمد القاضي.
٥ـ محمد بن سعيد بن نبات.
٦ـ عبد الله بن ربيع التميمي.
٧ـ أبو عمر أحمد بن محمد الطَّلمنكي.
٨ـ عبد الله بن يونس بن نامي.
٩ـ أحمد بن قاسم بن أصبغ[١]. وغيرهم.

٨ـ سبب تعلمه الفقه :

تقدم بنا كلام في أن ابن حزم قد أخذ مبادىء العلوم عن النسوة، ثم رافق بعض مشايخه، لكن يذكر بعض مؤرخيه سبباً لإقباله على

---

(١) السير ١٨/ ١٨٥ وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٤٦.

العلم، وطلبه للفقه، وهو أنه شهد جنازة، فدخل المسجد، فجلس، ولم يركع، فقال له رجل: قم فصل تحية المسجد، وكان عمره إذ ذاك ستاً وعشرين سنة، فقام فصلى، ثم لما عاد من الجنازة دخل المسجد، فأراد أن يصلي، فقيل له: اجلس ليس ذا وقت صلاة، وكان بعد العصر، قال: «فانصرفت وقد خزيت، وقلت للأستاذ الذي رباني: دلني على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون، قال: فقصدته، وأعلمته بما جرى، فدلني على موطأ مالك، فبدأت به عليه، وتتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحواً من ثلاثة أعوام، وبدأت بالمناظرة»[1].

هذا وقد استنكرت هذه القصة من قبل بعض من ترجم له، يقول العلامة المرحوم محمد أبو زهرة: «لذلك لا تستطيع أن تقبل مثل هذه الأخبار كابتداءٍ لتعلم ابن حزم الفقه، لأنها في ذاتها موضع نظر، لأنها تناقض سياق حياته، ولأنها فيما يظهر قد دخلها التصحيف»[2].

كما ردَّ الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري هذه القصة من وجوه نذكرها كما يلي:

١ ـ إنَّ القول بأنه قرأ الفقه وعمره ست وعشرون أي سنة ٤٠٩، خطأ لأنه قرأ الفقه والحديث على المشايخ، ومنهم ابن الجسور، وابن وجه الجنه، وقد كان كلاهما في سنتي ٤٠١ ـ ٤٠٢ هـ.

(١) السير ١٨/ ١٩٩، ومعجم الأدباء ١٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١.
(٢) ابن حزم ص٣٦.

٢ـ إن دراسته كانت في مسجد الجامع، ومسجد القمري، ومسجد بالرصافة منذ سنة ٣٩٩، وقبل بلوغه سن السادسة والعشرين بعشر سنوات، فكيف لا يعرف هذه الأمور المذكورة، وهو ابن وزير، ويدرس على المشايخ الفقه والحديث في المساجد ؟.

٣ـ إنه أخبر عن نفسه أنه صلى جنازة قبل أحد عشر عاماً من تاريخ هذه القصة، فقد صلى على المؤيد هشام[١].

٩ـ رحلته في طلب العلم:

لقد كان من رسوم طلبة العلم في تلك العصور الرحلة في طلب العلم، ولقد رحل ابن حزم في طلب العلم، وجال الأندلس، وقد حدثنا مترجموه أنه: قد انتقل من شرق قرطبة إلى غربها، ومن قرطبة إلى المُرِّيَّة[٢]، وقد لوحظ أن رحلته في غالبها ليست باختياره بل كانت إجبارية، وفي هذا يقول العلامة أبو زهرة رحمه الله: «هذه إشارة إلى رحلات ابن حزم، ولم تكن اختيارية في كثير منها، بل كانت إجبارية في أحيان كثيرة»[٣]، ومهما يكن فلقد رحل الرجل وحَصَّل، ويدلك على هذا روايته وتصانيفه التي نعرض لها في مبحث قادم بعون الله تعالى.

---

(١) ابن حزم خلال ألف عام ٢/ ٤٧ ـ ٤٨ بتلخيص.
(٢) ابن حزم ص٤٨ بتصرف.
(٣) ابن حزم ص٤٨.

١٠ـ المناصب التي وليها :

ما كان للعالم أن يكون بمنأى عن أهل عصره وزمانه، فلا بد له من مدافعة الحياة معهم، ولقد كان ابن حزم في خضم الأحداث، ولم يكن بعيداً عن مجتمعه، ولقد حدثنا مترجموه أنه قد شارك في الحياة العامة لأهل عصره، وقد كانت مشاركته لهم في مجالين هما :

١ـ **السياسة** : فقد حدثنا مترجموه أنه قد ولي الوزارة ثلاث مرات في حياته، وكانت ولايته للوزارة كما يلي :

١ـ ولي الوزارة لصديقه عبد الرحمن المستظهر في رمضان سنة ٤١٢ هـ ولم يبق في هذا المنصب أكثر من شهر ونصف، فقد قتل المستظهر في ذي الحجة من السنة نفسها، وسجن ابن حزم، ثم عفي عنه[١].

٢ـ تولى الوزارة أيام هشام المعتد فيما بين سنتي ٤١٨ ـ ٤٢٢[٢].

٣ـ ولي الوزارة للمرتضي في بلنسية، ولما هزم وقع ابن حزم في الأسر وكان ذلك في أواسط سنة ٤٠٩[٣]، ثم أطلق سراحه من الأسر، فعاد إلى قرطبة[٤].

---

(١) ابن حزم الأندلسي ص٣٣، وابن حزم لخليفة ص٥٧ ـ ٥٨.

(٢) ابن حزم للدكتور زكريا إبراهيم ص ٣٣.

(٣) ابن حزم وموقفه ص ٤١ ـ ٤٢ بتصرف، وابن حزم لأبي زهرة ص ٤٢.

(٤) أبو زهرة ص ٤٥.

٢ـ **التعليم**: فقد اشتغل أبو محمد رحمه الله بنشر العلم، وكان ذلك بعد اعتزاله للسياسة بعد تجاربه الثلاث فيها، يحدثنا العلامة أبو زهرة قائلاً: «وانصرف من بعد ذلك للدراسة والبحث والكتابة ونشر آرائه بالمناظرة أحياناً، وبالعلم إن واتته الفرصة، وبالرسائل يسطرها، وبالكتب المبسطة الوجيزة يكتبها[1]».

هذا وصف مختصر للمناصب التي وليها، مشاركاً بها غيره في الحياة العامة.

١١ـ المحن في حياة ابن حزم:

لا يكاد يسلم صاحب حق من البلاء، فهو عنوان الأحقية، وعنوان النجاح، ودليل قوة الإيمان، قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، ولقد كان ابن حزم ممن امتحن وابتلي، ولقد حدثنا مترجموه أنه قد حصل له من صنوف البلاء ما يلي:

١ـ **الإجلاء**: فقد أجليت عائلة أبي محمد من دورها المحدثة بالجانب الشرقي من قرطبة إلى دورهم القديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مغيث، وذلك أيام أمير المؤمنين محمد المهدي، وكان ذلك سنة ٣٩٩ هـ. وقد تحدث عن هذه المحنة فقال: ثم انتقل أبي

---

(١) ابن حزم ص ٤٧.

رحمه الله من دورنا المحدثة بالجانب الشرقي من قرطبة في رَبَض الزاهرة، إلى دورنا القديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مغيث في اليوم الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد المهدي بالخلافة، وانتقلت أنا بانتقاله، وذلك في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمئة»[1].

ثم عاد إلى الجلاء، فقد أجلي من بلده بعد الإطاحة بهشام المعتد بالله في ذي القعدة سنة اثنين وعشرين وأربعمئة، ونودي في قرطبة بأن لا يبقى بها أحد من بني أمية[2].

وكان قد أجلي قبل ذلك، وذلك سنة ٤٠٤ هـ، عند تغلب جند البربر، يحدثنا ابن حزم عن جلائهم هذا فيقول: «ثم ضرب الدهر ضرباته، وأجلينا عن منازلنا، وتغلب علينا جند البربر، فخرجت من قرطبة أول المحرم سنة أربع وأربعمئة»[3].

٢ـ **السجن**: فقد تعرض ابن حزم للسجن بعد توليه الوزارة للمستظهر، فقد سجن هو وابن عمه، وكان ذلك سنة ٤١٦[4]. كما سجن قبل ذلك أيام خيران صاحب المرية، وفي وصف سجنه هذه المرة يقول: «وفي إثر ذلك نكبني خيران صاحب المرية، إذ نقل إليه من

---

(١) طوق الحمامة ص ٢٥١.
(٢) ابن حزم الأندلسي حياته وأدبه ص ٦١ وجذوة المقتبس ص ٢٨.
(٣) طوق الحمامة ص ٢٥٢.
(٤) الجذوة ص ٢٤ ـ ٢٥، وابن حزم للحاجري ص ١٤٢.

لم يتق الله عز وجل من الباغين، وقد انتقم الله منهم، عني وعن محمد بن إسحاق صاحبي أنا نسعى في القيام بدعوة الدولة الأموية، فاعتقلنا عند نفسه أشهراً»[1].

٣ـ الأسر: فقد وقع ابن حزم في الأسر، بعد هزيمة المرتضي أمام جيوش غرناطة، ثم أطلق سراحه، وكان ذلك في أواسط سنة تسع وأربعمئة تقريباً[2].

٤ـ النفي والتغريب: فقد تعرض ابن حزم للتغريب من بلده، وكان ذلك أيام خيران صاحب المرّيّة، يقول ابن حزم: «ثم أخرجنا على جهة الغريب، فصرنا إلى حصن القصر»[3].

٥ـ إحراق كتبه: فقد تعرض ابن حزم إلى محنة نفسية شديدة، وذلك عندما حرقت كتبه أيام المعتضد بن عباد[4].

وبعد: فهذه صور البلاء التي ألمت بأبي محمد رحمه الله ولقد كانت شديدة عليه، لكنها صقلت نفسه، وقوّت همته، ولقد صدق فيه من قال: «وإن الناظر إلى حال صاحبنا ونشأته الأولى ثم حاله بعد ذلك ليدهش لما أصابه من تقلبات في الأحوال، وعدم تخاذله أمامها،

---

(١) طوق الحمامة ص ٢٦١.
(٢) ابن حزم لأبي زهرة ص ٤٥ وابن حزم لخليفة ص ٥٤ ـ ٥٥.
(٣) طوق الحمامة ص ٢٦٠.
(٤) ابن حزم لأبي زهرة ص ٥٢ ـ ٥٣ بتصرف.

ويدرك أن حياته صورة للإرادة التي لا تعرف التردد»[1].

١٢ـ ثناء العلماء عليه:

لقد قيض الله لمحاسن الرجال من ينشرها بين الناس، وهذا دأب أهل الثناء، كما قيض للمساوىء والمثالب من ينبش عنها، ويخرجها للناس، وهذا دأب أهل الثلب والبغضاء، ولقد كان ابن حزم أهلاً لثناء العلماء ومدحهم، فقد عرفت من شمائله، وعلو همته، بل وحتى مشاركاته السياسية، ما دعا أهل التراجم إلى الثناء على ابن حزم، ولقد أثنى أولئك عليه، وقد كان من ثنائهم عليه ما يلي:

١ـ قال الأمير أبو نصر بن ماكولا: «كان فاضلاً في الفقه، حافظاً في الحديث ، مصنفاً فيه، وله اختيار في الفقه على طريقة الحديث، روى عن جماعة من الأندلسيين كثيرة، وله شعر ورسائل»[2].

٢ـ وقال الحميدي: «كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، ومستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، متفنناً في علوم جمة، عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله من الوزارة وتدبير الممالك، متواضعاً ذا فضائل جمة، وتواليف كثيرة في كل ما تحقق به في العلوم، وجمع من الكتب في علم الحديث

---

(١) ابن حزم وموقفه ص ٤٥.
(٢) الإكمال ٢/ ٤٥١.

والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً، وسمع سماعاً جماً»[1].

٣ـ وقال الحافظ الذهبي أيضاً: «ابن حزم الأوحد البحر، ذو الفنون والمعارف»[2].

٤ـ وقال الذهبي أيضاً: «...الفقيه، الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير، الظاهري، صاحب التصانيف»[3]

تلكم شذرة من عبارات العلماء في الثناء على أبي محمد رحمه الله، وهي بلا شك واصفة لأوجه نبوغه، ولجوانب فضله، ولمآثره في العلم وغيره، ولم نشأ التطويل في هذه المقالة، ذلك لأن أبا محمد عالم فَحل، وما قيل فيه دون واقعه، وإلا فمن تيسر له التلمذة على كتبه وتراثه عرف، وفي الخبر: «ليس الخبر كالمعاينة»[4]، ولا شك أن من عاين فضائله، ونهل من علومه، وجد مصداق ما يقوله مترجموه بل وأكثر.

١٣ـ تلامذته:

لقد كان من فضل الله أن تحفظ مآثر الأخيار وعلومهم بعد موتهم، وانقضاء أعمارهم، لقاء إخلاص كانوا عليه، وحسن توجه قابلوا ربهم عليه، وحسن ديانة ودعوا الدنيا بها، وقد جعل الله لهذا

---

(١) جذوة المقتبس ص ٣٠٨.
(٢) السير ١٨/ ١٨٤.
(٣) السير ١٨/ ١٨٤.
(٤) رواه أحمد في مسنده ١/ ٢١٥، ٢٧١.

الحفظ وسيلتين هما: التلاميذ، والمصنفات، ولقد كان ابن حزم ممن حفظ تراثه بتلامذته، ذلك أن من كان مثل أبي محمد في موسوعية المعرفة، وشدة المراس، والصبر عند الشدائد، وثناء الأفاضل، وكثرة الشيوخ، والجولة في البلاد، فلا بد عندئذ أن يقبل عليه طلبة العلم، وبالفعل فقد أقبلوا عليه، ونهلوا من علمه، ولقد ذكرت لنا كتب التراجم بعضاً من تلامذته، ضناً منها بذكر الخيرين، وإن كان حق أبي محمد أن يوعب في ذكر تلامذته، ومع ذلك فقد ذكر لنا من تلامذته مايلي:

١ـ ابنه أبو رافع الفضل.

٢ـ أبو عبد الله الحميدي.

٣ـ والد القاضي أبي بكر بن العربي[١].

٤ـ محمد بن الوليد الفهري[٢].

٥ـ عبد الباقي بن محمد بن سعيد بن بريال الأنصاري[٣].

هذا ما استطعنا أن نقف على ذكره من تلامذة أبي محمد رحمه الله، وقد ذكر الذهبي بعضهم ثم قال: «وطائفة»[٤]، وحول صعوبة

---

(١) السير ١٨/ ١٨٥

(٢) الصلة ٢/ ٥٤٥.

(٣) أخبار وتراجم مستخرجة من معجم السفر ص ٥٢.

(٤) السير ١٨/ ١٨٦.

الحصول على ثبت بتلاميذ أبي محمد يقول الدكتور أحمد بن ناصر الحمد: «هؤلاء بعض ممن تتلمذ على أبي محمد، ولا شك أنه يصعب حصرهم ومعرفتهم جميعاً خلال المدة الطويلة التي قضاها في سبيل العلم، والحرص الشديد على نشره بين الناس»[1].

١٤ـ مصنفاته:

قدمنا أنَّ التصانيف هي إحدى الوسائل التي حفظ الله بها مآثر أهل العلم، ولقد كان من هؤلاء أبو محمد رحمه الله، فقد صنف، وأكثر من التصانيف. فقد حدَّث ابنه أبو الفضل أنه قد اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربعمئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة[2]. وقد كانت كتبه من الكثرة بحيث اضطرب مترجموه في عدِّها، فقد ذكر له الحافظ الذهبي في السير ستة وسبعين كتاباً[3]، وذكر له الدكتور أحمد بن ناصر الحمد مئة وستة وثلاثين كتاباً[4] وكما أحصى العلامة أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ما لم يصلنا من كتبه فبلغت ثلاثة وثمانين كتاباً[5]. ولذا نذكر في هذا المقام

---

(١) ابن حزم وموقفه ص ٦٧ ـ ٦٨.
(٢) طبقات الأمم ص ١١٧ ـ ١١٩.
(٣) السير ١٨/ ١٩٣ ـ ١٩٧.
(٤) ابن حزم وموقفه ص ٧١ ـ ٩٢.
(٥) مجلة الفيصل السنة الثالثة العدد ٢٦ مقال لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري سنة ١٣٩٩هـ.

بعض كتب أبي محمد رحمه الله، لأن الاستيعاب لا يناسب المقام هنا، فنقول: من كتب أبي محمد رحمه الله ما يلي:

١ـ الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع.

٢ـ أصحاب الفتيا من الصحابة، ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا.

٣ـ الأصول والفروع.

٤ـ تسمية شيوخ مالك.

٥ـ التقريب لحد المنطق، والمدخل إليه بألفاظ عامية.

٦ـ الإحكام في أصول الأحكام.

٧ـ الأخلاق والسير في مداواة النفوس.

٨ـ جمهرة أنساب العرب.

٩ـ جوامع السيرة.

١٠ـ حجة الوداع.

١١ـ طوق الحمامة في الألفة والألاّف.

١٢ـ الفصل في الملل والنحل.

١٣ـ القراءات المشهورة في الأمصار الآتية مجيء التواتر.

١٤ـ المحلى بالآثار، شرح المجلى بالاختصار.

١٥ـ مراتب الإجماع.

١٦ـ ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل.
١٧ـ النبذة الكافية في أصول الدين.
١٨ـ نقط العروس في النوادر.
١٩ـ نكت الإسلام.
٢٠ـ اليقين في نقض تمويه المعتذرين عن إبليس وسائر المشركين.

وبعد: فهذه بعض كتب الرجل، وقد تقدم بنا الكلام على كثرة كتبه عليه رحمه الله، ومن أراد المزيد عاد إلى المظان التي ذكرناها أول المبحث.

١٥ـ عقيدته:

ما كان للعالم أن يكون بعيداً عن رسوم التعليم في عصره، ومن تلكم الرسوم التبعية لمدارس أهل الإسلام في الفقه والتوحيد، ولقد كان ابن حزم قريباً من أهل عصره، ولا شك أنه كان على وجهة في التوحيد، ولذا نحاول هنا أن نعرّف بعقيدة أبي محمد رحمه الله تعالى، فنقول:

عند مراجعة كتب التراجم نجد أنَّ كلاماً لأهل العلم قد صدر في الحكم على عقيدة ابن حزم، وقد كان وصف هؤلاء لمعتقده كما يلي:

١ـ قال الإمام ابن تيمية في كتاب نقض المنطق: «وكذلك أبو محمد بن حزم فيما صنفه من الملل والنحل، إنما يستحمد

بموافقته السنة والحديث ، مثل ما ذكره في مسائل القدر والإرجاء، ونحو ذلك، بخلاف ما انفرد به من قوله بالتفضيل بين الصحابة، وكذلك ما ذكره في باب الصفات، فإنه يستحمد فيه بموافقة أهل السنة والحديث لكونه يثبت الأحاديث الصحيحة، ويعظم السلف، وأئمة الحديث، ويقول إنه موافق للإمام أحمد في مسألة القرآن وغيرها، ولا ريب أنه موافق له ولهم في بعض ذلك، لكن الأشعري ونحوه أعظم موافقة للإمام أحمد بن حنبل ومن قبله من الأئمة في القرآن والصفات، فإن كان أبو محمد بن حزم في مسائل الإيمان والقدر أقوم من غيره، وأعلم بالحديث، وأكثر تعظيماً له ولأهله من غيره، لكن قد خالط من أقوال الفلاسفة والمعتزلة في مسائل الصفات ما صرفه عن موافقة أهل الحديث في معاني مذهبهم في ذلك، فوافق هؤلاء في اللفظ، وهؤلاء في المعنى»[1].

ويقول ابن تيمية في شرح العقيدة الأصفهانية: «وقد قاربهم في ذلك من قال من متكلمة الظاهرية كابن حزم أن أسماءه الحسنى كالحي والعليم والقدير بمنزلة أسماء الأعلام التي لا تدل على حياة ولا علم ولا قدرة، قال: ولا فرق بين الحي وبين العليم، وبين القدير في المعنى أصلاً، ومعلوم أن مثل هذه المقالات سفسطة في العقليات، وقرمطة في السمعيات، فإنا نعلم بالاضطرار الفرق بين

---

(١) نقض المنطق ص ١٧ ـ ١٨ .

الحي والقدير والعليم والملك والقدوس والغفور»[1].

٢ـ ويقول العلامة محمد بن عبد الهادي في كتابه مختصر طبقات علماء الحديث: «ولكن تبين لي منه أنه جهمي جلد، لا يُثبت معاني أسماء الله الحسنى إلا القليل، كالخلق والحق، وسائر الأسماء عنده لا يدل على معنى أصلاً كالرحيم والعليم والقدير ونحوها، بل العلم عنده هو القدرة، والقدرة هي العلم، وهما عين الذات، ولا يدل العلم على شيء زائد على الذات المجردة أصلاً، وهذا عين السفسطة والمكابرة»[2].

٣ـ ويقول العلامة أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: على أن أبا محمد غير موفّق في كثير من مسائل الأسماء والصفات، وليس مرد ذلك لجهله، وإنما مرده لخطأ نظره مع أنه بحر لا ساحل له في العلم»[3].

ما نقلناه هنا يلقي الضوء على موافقة أبي محمد رحمه الله للمعتزلة في بعض جوانب المعتقد، فهو وإن كان ظاهرياً في الفروع إلا أنه قد خالف منهجه في الأصول، وحول وقوعه في التأويل يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عن ابن حزم رحمه الله: «وكان مع هذا، من أشد

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ص ٧٦.
(٢) طبقات علماء الحديث ٣/ ٣٥.
(٣) ابن حزم خلال ألف عام ٢/ ١٥٣.

الناس تأويلاً في باب الأصول وآيات الصفات، وأحاديث الصفات، لأنه كان أولاً قد تضلع من علم المنطق»[1].

وبعد هذا نورد خلاصة لدراسة علمية في اعتقاد ابن حزم في الإلهيات أعدها الدكتور أحمد بن ناصر الحمد وقدمها لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وهذه خلاصة نتيجتة كما يلي:

١- يوافق ابن حزم المعتزلة في إثبات الأسماء مجردة فلا يشتق لله منها صفات.

٢- يرجع ابن حزم كثيراً من الصفات إلى الذات بعد إثبات ألفاظها الواردة كالوجه، واليد، والعين وغيرها.

٣- يؤول ابن حزم الصفات كالصورة والأصابع والساق والاستواء والنزول.

٤- يوافق السلف في إثبات الماهية لله، والنفس، والذات.

٥- يوافق السلف في إثبات الرؤية.

٦- يوافق السلف في إثبات كلام الله.

٧- يوافق السلف في غالب مباحث أفعال الله[2].

وبعد: فهذه لمحة قصدنا بها التعريف بعقيدة أبي محمد بن حزم

---

(١) البداية ١٢/ ٩١ ـ ٩٢.

(٢) ابن حزم وموقفه ص ٤٧٣ ـ ٤٧٥ بتلخيص.

رحمه الله تعالى، وعسى ألايكون فيما ذكر إجحاف بحق الرجل، أو إلزام له بما لا يلزمه، و الله المستعان.

١٦ـ مذهبه الفقهي:

لقد كان من رسوم التعلم والتعليم في تلك الأيام الدراسة على وفق مدرسة فقهية معينة، ولم يكن صاحبنا ابن حزم بعيداً عن ذلك، فقد بدأ حياته العلمية بدراسة الفقه المالكي، وفي هذا يقول المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة: «وقد اتجه أول ما اتجه إلى الفقه المالكي، فقد كان هو المذهب السائد في الأندلس، فوق أنه المذهب الرسمي للدولة»[١]، ثم إنه اتجه إلى دراسة الفقه الشافعي، فقد حدثنا مترجموه أنه كان على مذهب الشافعي، يقول عبد الواحد المراكشي: «وكان على مذهب الإمام أبي عبد الله الشافعي رحمه الله، أقام على ذلك زماناً»[٢]، وقد وافقه على هذا جملة من مترجمي أبي محمد رحمه الله تعالى[٣]، ثم إنه انتقل إلى مذهب أهل الظاهر، ونافح عنه، وقعَّد أصوله، حتى أنَّ المذهب الظاهري قد اقترن اسمه في حياة الناس باسم أبي محمد بن حزم أكثر من اقترانه باسم داود بن علي الأصبهاني

---

(١) ابن حزم لأبي زهرة ص ٣٨.

(٢) المعجب ص ٤٦ ـ ٤٩

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ٣٢٢ ـ ٣٢٧، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٤٦، ومرآة الجنان لليافعي ٣/ ٧٩ ـ ٨١.

رحمه الله تعالى، قال ابن حيان رحمه الله تعالى: «ثمَّ عدل في الآخر إلى قول أصحاب الظاهر، مذهب داود بن علي ومن اتبعَه من فقهاء الأمصار، فنقحه، ونهجه وجادل عنه، ووضع الكتب في بسطه، وثبت عليه إلى أن مضى لسبيله رحمه الله»[1].

وبعد: فهذه لمحة استطعنا أن نعرف بها مذهب أبي محمد الفقهي، فقد بدا لنا تدرجه في درس الفقه، وتنقله بين المدارس المتاحة له، حتى انتهى إلى القول بمذهب أهل الظاهر، ذلكم المذهب الذي استقر عليه، ونافح عنه، وصنف فيه.

١٧ـ وفاته:

إنَّ من قدر الله تعالى أنه ما علا نجم إلا وأفَلَ، ولا اشتدَّ عود فتي إلا واكتهل، ولا شمخ الزهر برأسه إلا وذبل، ولا طار طائر بجناحيه إلا ونزل، وهكذا الحياة، ولقد كان من قدر الله تعالى أن يموت أبو محمد بن حزم عشية ليلة الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمئة وكان عمره إحدى وسبعين سنةً وأشهراً[2].

أقول: لئن مات أبو محمد، فإن ذكره في الناس باقٍ، فما ذكر الفحول من الفقهاء إلا وكان أبو محمد في طليعتهم، وما ذكر الحديث

(١) الذخيرة لابن بسام ١/١٣٦ ـ ١٤٧.
(٢) الصلة ٢/٣٩٦ والسير ١٨/٢١١.

بالأندلس، إلا وكان ابن حزم من أشياخه، وما ذكر المنطق وأصوله إلا وتذاكر الناس حظ أبي محمد في هذا المقام، وما ذكرت الملل والنحل، وتصاولت الفحول في ميدانها إلا وتسابق الناس إلى حجج أبي محمد وتصنيفه في الملل والنحل، وما تذاكر الناس الرقَّة والمودة والأخوة والصداقة إلا وكان لشذى عبير أبي محمد في مجلسهم ذكر، وما تحدَّث الناس عن الأنساب إلا وأطروا جمهرة أبي محمدٍ، وما تذكر الناس قوة الحجة وموسوعية البحث، وصرامة الموقف إلا وكان لهم عند أبي محمدٍ وشخصيته ومواقفه وقفات.

١٨ـ صفاته:

نلخص في هذه العجالة صفات أبي محمد بن حزم، والتي ذكرها الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى.

اتصف ابن حزم بالصفات التالية:

١ـ قوة الحافظة.

٢ـ البديهة الحاضرة.

٣ـ عمق التفكير والغوص في الحقائق.

٤ـ الصبر.

٥ـ الجلد.

٦ـ المثابرة.

٧ـ الإخلاص.

٨ـ الصراحة في الحق.

٩ـ الحدة: ولا عودة إليها بعد قليل.

١٠ـ الوفاء.

١١ـ الاعتزاز بالنفس من غير عجبٍ ولا خيلاء[١].

حول حدة أبي محمد رحمه الله تعالى:

وصف ابن حزم عليه رحمة الله تعالى بالحدة من قبل مترجميه، ففي هذا يقول أبو مروان بن حيان: «فلم يكُ يلطف صدعه بما عنده بتعريض، ولا يزفه بتدريج، بل يصك به معارضه صك الجندل، وينشِّقه متلقِّيه إنشاق الخردل، فينفر عنه القلوب، ويوقع بها الندوب»[٢].

ويقول العلامة المرحوم محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى: «إنَّ ابن حزمٍ كانت فيه حدَّة، فهو لا يكتفي بالتصريح المجرد بالحق، وبيان الدليل، بل ربما فرطت منه عبارات قوية فيها بعض العنف»[٣].

ويقول العلامة أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري حفظه الله: «وابن حزمٍ حاد اللهجة في النقد ولكنه لا يقع في الأئمَّة»[٤].

هذا وصف مترجميه له بالحدة، على اختلاف عواطفهم نحوه،

---

(١) ابن حزم لأبي زهرة ص ٧١ ـ ٨٦ بتصرف.

(٢) الذخيرة ١/ ١٣٦.

(٣) ابن حزم ص ٨١.

(٤) ابن حزم خلال ألف عام ٢/ ١٠٩.

فمنهم الخصم كابن حيان، ومنهم المحب كأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري محبه والمتتلمذ على آثاره، ومنهم المتوسط بين الاثنين كالعلامة المرحوم محمد أبي زهرة، والسؤال الذي لا بد من سؤاله: ما هو سبب هذه الحدة عند أبي محمد ابن حزم رحمه الله تعالى ؟ وعند النظر في ترجمته نجد أنَّ هناك أسباباً أدت إلى هذه الحدة، وهذه الأسباب كما يلي:

١ـ إنه كان مصاباً بمرض الربو في الطحال، وقد اعترف به في رسالته في مداواة النفوس، فقال: «ولقد أصابتني علَّة شديدة ولَّدت عليّ ربواً في الطحال شديداً، فولَّد عليّ ذلك من الضجر وضيق الخلق وقلة الصبر والنزق أمراً حاسبت نفسي فيه، إذ أنكرت تبدل خلقي، فاشتد عجبي من مفارقتي لطبعي، وصح عندي أنَّ الطحال موضع الفرح، فإذا فَسَدَ تولد ضده»[١].

٢ـ إنه قد حورب من قبل خصومه، وفي هذا يقول أبو عبد الرحمن بن عقيل: «كما أنه حورب وطورد، وتسفه عليه المقلدة بدليل رسالته الرد على الهاتف من بعد»[٢]. ويقول المرحوم العلامة أبو زهرة: «ما أحسه من إرادة السوء به، وإنزال الأذى، وأي أذى أشد وأعظم أثراً في نفس العالم من أن يرى جهوده وثمرات

---

(١) الأخلاق والسير ص ٣٩١.

(٢) ابن حزم خلال ألف عام ١/ ١١٥.

فكره تحترق بينَ يديه، ويشهد العالم احتراقها، إنَّ ذلك يخرج الحليم عن حلمه، فكان بلا شك كيد خصومه له من أسباب حدته، بل إنه أعظم أسبابها»[1].

٣ـ صدق الحس، وبعد الغور في إدراك حقائق النفوس، وقوة الإحساس، مما جعله صادق الفراسة يدرك أغوار نفوس الناس بلفتاتٍ سريعة، وإحساس قوي عميق[2].

وبعد: فهذه هي أسباب حدة أبي محمد بن حزم رحمه الله تعالى، ولعل له فيها بعض العذر في مناقشته لخصومه بلهجة شديدة، تنفر منها بعض النفوس، وتبتعد معها بعض القلوب، إلا أن مريد الحق يطلبه حتى وإن كان في طلبه مشقَّة وعناء، فطالب الشهد لا يتركه رغم لسعات النحل. وإيذائها له، ولا شكَّ أن عند أبي محمدٍ شهد وفضل، والكرام صُبرٌ عند مطالبهم، صُدقٌ عند مواقفهم، ولن يثنيهم بأس الرجل عن علمه، بل هو في نظري دافع لهم إلى محاجته ومراجعته بالحجة والدليل والعقل، بدل انكماش العاطفة عنه، ولكن لئن كان الرجل على ما رأيت فإنه لا عذر لمن حمل سيف غيره في غير ما سبب ولا ظرفٍ ولا مبرر، فأهدر به حقاً، وروَّع به آمناً، وأفسد به وُدّاً، وظلم به أخاً. والله المستعان.

---

(١) ابن حزم ص ٨١.

(٢) ابن حزم ص ٨٣ بتلخيص.

الباب الثاني

علوم ابن حزم

من المعروف أنَّ أبا محمد بن حزم كان موسوعي الثقافة، متعدد جوانب المعرفة، فهو الفقيه والأصولي النحرير، وهو المحدث المدقق، وهو المنطقي البارع، وهو اللغوي، وهو الشَّاعر المُجيد، وهو المؤرخ الأمين، وهو التربوي والمربي الدارس لأغوار النفس، والمدرك لحقيقتها بحسب الطاقة البشرية، إلى غير ذلك، ولهذا فقد أحببت في هذا الفصل أن ألقي الضوء على أهم جوانب نبوغ الرجل، بما يحبب للدارس صحبته، وللقارىء كتبه، وللمتابع سيرته، وللمعادي المشاكس إنصافه، ولذا فقد بنيت هذا الفصل على المباحث التالية:

١ـ ابن حزم المفسر.

٢ـ ابن حزم المحدث.

٣ـ ابن حزم الفقيه.

٤ـ ابن حزم المؤرخ.

٥ـ ابن حزم الشَّاعر.

٦ـ ابن حزم المربي.

٧ـ ابن حزم عالم الفرق والأديان.

فهذه الجوانب التي أردت إبراز علم أبي محمد من خلالها، من غير شطط ولا تجاوز للحد في تعصب له، أو عليه، بما أظن أنَّ فيه نفعاً لدارس تراث أبي محمد رحمه الله تعالى؛ ومعتذراً عن قصورٍ أقع فيه، من غير قصدٍ مني، ومعتذراً لشيخ هو أولى مني بالكتابة عن شيخه ومحبوبه ابن حزم، أعني فضيلة الشيخ العلامة أبا عبد الرحمن بن عقيل الظاهري حفظه الله ورعاه، وجزاه عنا وعن أبي محمدٍ ومحبيه في القديم والحديث خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين.

علوم ابن حزم

١ ـ ابن حزم المفسر

لقد كان لابن حزم اهتمام بالتفسير وعلوم القرآن، ولكن عند النظر في كتب تراجم المفسرين لم نجد ذكراً له، ولعل ذلك عائد إلى أنهم قد شرَّطوا ذكر من له كتاب مفردٌ في التفسير، ولم يقع لهم شيء من هذا لأبي محمد رحمه الله، هذا حال القدماء، وأما حال المعاصرين فَهُم في الغالب متابعون لمن سبقهم، ومن هنا فلم أجد من أعار جهود ابن حزم في التفسير ـ في حدود اطلاعي ـ اهتماماً، لكن وجدتُ كلاماً وصفياً لبعض جهوده عليه رحمة الله، فمن ذلك مقولة الأستاذ إبراهيم الكتاني: بأن لابن حزم رسالة في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤]، وكتاب في تفسير ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾[1] [يوسف: ١١٠]، وأنَّ له كتاباً في بلاغة القرآن، وأنَّ له كتاباً في القراءات[2]، ومقولة العلامة

---

(١) ابن حزم خلال ألف عام ٤/ ٢٥٥.

(٢) ابن حزم خلال ألف عام ٤/ ٢٤٩.

الشيخ أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: «آثارُ أبي محمد في تفسير القرآن، والجمع بين النصوص مفقودة»[1]، ومن هنا اتجهت إلى مراجعة كتب الرجل لتجلية آرائه في علوم القرآن والتفسير، وقد أعانني الله بفضله على جمع آرائه في علوم القرآن في دراسة أرجو أن ييسر الله طبعها، وقد قارنت رأيه بآراء غيره في عدة مسائل هي: ١ـ المتشابه، ٢ـ الحروف السبعة، ٣ـ بقاء الحروف السبعة، ٤ـ المجاز في القرآن، ٥ـ التأويل، ٦ـ ترجمة القرآن، ٧ـ ترتيب الآيات والسور، ٨ـ إعجاز القرآن، ٩ـ النسخ. وقد بدأت بجمع تفسيراته لآيات من القرآن من خلال كتبه، نسأل الله العون على جمع ما يعين على تقريب علم الرجل إلى الناس، ولذا فسأعرض آراء أبي محمد رحمه الله تعالى في بعض مسائل علوم القرآن، وهذا ما أذكره كما يلي:

١ـ رأيه في المتشابه:

يرى ابن حزم أنَّ المتشابه في القرآن هو الحروف المقطعة التي في أوائل بعض السور، والأقسام التي في أوائل بعض السور. يقول أبو محمد: «فلم نجد في القرآن شيئاً غير ما ذكرنا، حاشا الحروف المقطعة التي في أوائل بعض السور، وحاشا الأقسام التي في أوائل بعض السور أيضاً، فعلمنا يقيناً أنَّ هذين النوعين هما المتشابه الذي

---

(١) نوادر ابن حزم ٢/ ٣٠٠.

نهينا عن اتباعه، وحذر النبي ﷺ من اتباعه»[1].

٢ـ رأيه في الحروف السبعة:

يرى ابن حزم أن الأحرف السبعة هي اختلاف ألفاظ القراءات، يقول أبو محمد رحمه الله تعالى: «وكذب هذا القول أظهر من الشمس، لأنَّ خبر أُبي الذي ذكرنا، وخبر عمر الذي أوردنا، شاهدان بكذبه، مُخبران بأنَّ الأحرف إنما هي اختلاف ألفاظ القراءات ولا تغاير معاني القرآن»[2].

٣ـ رأيه في التأويل:

يرى ابن حزم أنَّ التأويل هو: «نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره، وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر، فإن كان نقله قد صحَّ ببرهان، وكان ناقله واجب الطاعة، فهو حق، وإنْ كان نقله بخلاف ذلك اطرح، ولم يلتفت إليه، وحكم لذلك النقل بأنه باطل»[3]. فهو يقسم التأويل إلى قسمين:

تأويل مقبول: وهو نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره، وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر ببرهان.

---

(١) الإحكام ٤/ ١٢٣ ـ ١٢٤و ١/ ٤٨، والنبذة ص ٥٤.
(٢) الإحكام ٤/ ١٦٩.
(٣) الإحكام ١/ ٤٢.

وتأويل مردود: وهو نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره، وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر بغير برهان، ولا كان ناقله واجب الطاعة.

هذا بالنسبة لرأيه في التأويل، لكن هل وقع في التأويل المردود على رأيه ؟ نعم، وقد عرضنا لوصف العلماء له بهذا الوقوع عند حديثنا عن عقيدته في مبحث سابق.

٤ـ رأيه في المجاز ووقوعه:

يرى ابن حزم أن المجاز هو: «كل ما نقله الله تعالى أو رسوله ﷺ عن موضعه في اللغة إلى مسمى آخر، ومعنى ثانٍ، ولا يقبل من أحدٍ في شيء من النصوص أنه مجاز إلا ببرهان يأتي به من نصٍّ آخر، أو إجماعٍ متيقن، أو ضرورة حسٍّ»[١].

فهو يرى أنه لا يجوز صرف المعنى عن ظاهره إلا بأحد ثلاثة أمور هي: ١ـ نص آخر. ٢ـ إجماع متيقن، ٣ـ ضرورة حسٍّ. وبغير هذه الصوارف الثلاثة فإنه لا يجيز صرف المعنى عن ظاهره، ويعتبر ذلك حراماً، وتحريفاً للكلم عن موضعه، وعليه فهو من القائلين بوقوع المجاز، ومكان التفصيل في الدراسة التي أشرنا إليها سابقاً.

٥ـ رأيه في بقاء الأحرف السبعة:

يرى أبو محمد بن حزم أنَّ الأحرف السبعة باقية إلى يوم القيامة،

---

(١) الإحكام ١/٤٨.

يقول في هذا المقام: «وأما الأحرف السبعة، فباقية كما كانت إلى يوم القيامة، مثبوتة في القراءات المشهورة من المشرق إلى المغرب، ومن الجنوب إلى الشَّمال، فما بين ذلك، لأنها من الذكر المنزل الذي تكفل الله تعالى بحفظه، وضمان الله تعالى لا يخيس أصلاً، وكفالته تعالى لا يمكن أنْ تضيع»[1].

٦ـ رأيه في الترجمة الحرفية والتفسيرية للقرآن:

يرى ابن حزم كما يرى غيره أنَّ الترجمة: إما تفسيرية بمعنى ترجمة تفسير القرآن، وإما حرفية بمعنى ترجمة ألفاظ القرآن، وهو يجيز الترجمة التفسيرية، ويحرم الترجمة الحرفية، ويقول ابن حزم رحمه الله تعالى في هذا المقام: «فلم يلزمنا تعالى قراءة ألفاظهم بنصها، ولا نمنع نحن من تفسير القرآن بالأعجمية عمن يترجم له، وإنما نمنع من تلاوته في الصلاة، أو على سبيل التقرب بتلاوته إلى الله تعالى بغير اللفظ الذي أنزل به، لا بكلامٍ أعجمي، ولا بغير تلك الألفاظ، وإن وافقتها في العربية، ولا بتقديم تلك الألفاظ بعينها، ولا بتأخيرها، وإنما نجيز الترجمة التي أجازها النص على سبيل التعليم والإفهام فقط، لا على سبيل التلاوة التي نقصد بها القربة، وبالله التوفيق، وبلا خلافٍ من أحد من الأمة إنَّ القرآن معجز، وبيقين تدري أنه إذا ترجم بلغة أعجمية، أو بألفاظ عربيةٍ غير ألفاظه، فإنَّ تلك الترجمة

---

(١) الإحكام ٤/ ١٦٥.

غير معجزة، وإذ هي غير معجزةٍ، فليست قرآناً»[1].

هذا كلامه في المسألة موضحاً به رأيه في هذه المسألة المهمة. وبعد هذا نقول: نكتفي بهذه المسائل الست للتمثيل بها لآراء ابن حزم في علوم القرآن، ولم نشأ التوسع هنا، لأنَّ هذا كتاب ترجمة للرجل، ولا يتسع للتطويل هنا، بالإضافة إلى أننا قد جمعنا ما وصلنا إليه من آرائه في علوم القرآن في دراسة أخرى مع المقارنة بآراء غيره، والاستدلال له ولغيره، فنحيل إليها، ونسأل الله أن ييسر لها أن ترى النور في عالم الطباعة بعونه الكريم.

ولئن كان هذا المبحث في التعريف بآرائه في التفسير وعلوم القرآن، فقد مرَّ بنا التعريف ببعض آرائه في علوم القرآن، وهنا لا يفوتنا أن نذكر نماذج من تفسيره للقرآن الكريم، فنقول:

هناك نُتَفٌ في تفسير آي من كتاب الله متناثرة في كتب أبي محمد رحمه الله تعالى، وقد بدأت بجمعها في دراسة قادمة تكون الجزء الثاني من آراء أبي محمد في علوم القرآن والتفسير، ولذا فإننا نورد أمثلة من هذه التفسيرات في هذا المقام كما يلي:

١ـ يقول أبو محمد رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ [المائدة: ١١٧]: فالوفاة قسمان: نومٌ، وموت فقط، ولم يرد عيسى عليه السلام بقوله:

(١) الإحكام ٢/ ٨٨.

توفيتني ـ وفاة النوم ـ فصح أنَّهُ إنما عنى وفاة الموت[1].

٢ـ ويقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ﴾ [النساء: ٢]: بمعنى مع أموالكم[2].

٣ـ ويقول في معنى قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]: والقنوت: الخشوع[3].

وبعد: فهذه نماذج من تفسيرات أبي محمد بن حزم رحمه الله تعالى، أوردناها لندلل بها على الموسوعية العلمية التي كان يتحلى بها، ويوصف بها، وقد وصف بعض الباحثين تفسير ابن حزم بأنه: «وهذا تفسير لغوي واضح لا مجال للشك في صدقه»[4].

بهذا نقف عند نهاية التعريف بجهود ابن حزم مفسراً لننتقل إلى جانب آخر من جوانب نبوغه بعون الله تعالى.

* * *

---

(١) المحلى ١/ ٢٣.
(٢) المحلى ٢/ ٥١.
(٣) المحلى ٤/ ٧.
(٤) ابن حزم ص ٢٤٥.

٢ـ ابن حزم المحدث

عرف ابن حزم بالمحدث عند مترجميه، فقد وصفه ابن ماكولا بأنه: «حافظاً للحديث مصنفاً فيه»[١]، وبمثل هذا الوصف وصفه تلميذه الحميدي[٢]، كما وصفه ابن القطان بأنه برع في الفقه والحديث[٣]، ولا بد لمن يترجم له من التعريف به كمحدث، وهذا ما أفعله هنا من خلال النقاط التالية:

١ـ الاعتماد على قوله في الجرح والتعديل:

ابن حزم محدث كبير، وناقد نحرير، وقد ذكره السخاوي في رسالته في المتكلمين في الرجال فقال: «ثم بعدهم: ابن عبد البر، وابن حزم الأندلسيان»[٤]، كما ذكره الحافظ الذهبي في رسالته المسماة: «ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل»، فقال: «الطبقة الثالثة عشرة:

---

(١) الإكمال ٢/ ٤٥١.
(٢) جذوة المقتبس ص٣٠٨.
(٣) الوهم والإيهام ٢/ ٢٤٢/ أ، نقلاً عن ابن حزم خلال ألف عام ٢/ ٥٧.
(٤) المتكلمون ص ١١٨ ضمن أربع رسائل.

وأبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأموي مولاهم»[1].

هذا كلام أهل التقعيد من المحدثين بخصوص اعتبار ابن حزمٍ الظاهري أحد الذين تكلموا في الرجال جَرْحاً وتعديلاً، وأحد الذين اعتمد كلامهم في نقد الرجال، هذا مع العلم بأنه ما نقل عنه فيما نعلم أنه صنَّف تصنيفاً مستقلاً في رجال الحديث سوى اختصاره لكتاب الساجي. وإنما كان له نقدٌ لرجال الحديث في ثنايا كتبه عبر مناقشاته لمخالفيه، ومنافحاته عن رأيه ومذهبه الذي هو عليه، وقد تناقل مَنْ جاء بعده من المحدثين كلامه في الرجال جَرْحاً وتعديلاً في مصنَّفاتهم في الرجال، كما هو صنيع الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال، والإمام ابن حجر في لسان الميزان، وتهذيب التهذيب، وسواهما، ولا نستبق هنا فنقف عند مدى قبولهم لكلامه في هذا الباب، فمقامه محلٌّ آخر من بحثنا هذا، والله المستعان.

هذا وقد كان من عادته في كتبه نقد الأحاديث التي يرويها بسنده، بذكر الكلام في رواتها، ولا شك أنَّ هناك عدداً لا يستهان به قد تكلم فيه ابن حزم في كتبه جرحاً وتعديلاً، وقد أغرى هذا المعاصرين على جمع الرواة الذين تكلم فيهم ابن حزم، فقد جمع الدكتور محمد رواس القلعجي الرجال الذين جرحهم ابن حزم في المحلى[2]، كما جمع

---

(١) ذكر من يعتمد قوله ص ٢١٤.

(٢) ابن حزم خلال ألف عام ٤/٨.

الشيخ عمر محمود، والشيخ حسن أبو هنية من الأردن أسماء الرواة الذين تكلم فيهم ابن حزم جرحاً وتعديلاً مقارنة مع آراء أئمة أهل الجرح والتعديل، وذلك في مجلد وسط صدر عن دار المنار بالزرقاء - الأردن سنة ١٩٨٨، وقد حوى الكتاب ثمانمئة وثمانين رجلاً وامرأة لابن حزمٍ فيهم كلام جرحاً وتعديلاً. كما ضمَّا إليه الرواة الذين تكلم فيهم ابن حزم في كتابه «الفصل في الملل والنحل»، فكان عددهم ثمانين رجلاً، ولا شكَّ أن هذا عدد لا يستهان به لرجل ناقد تكلم فيما يقارب ألف رجل، ولكن هل سلَّم علماء الحديث لابن حزم في كلامه في الرواة جرحاً وتعديلاً؟ وما هو موقفهم من هذا الجرح الصادر عن أبي محمد بن حزم رحمه الله تعالى؟

واقع الحال أنَّ المحدثين ممن جاء بعد ابن حزم لم يقروه على كل جرحٍ جرح به الرواة، بل كان جرحه أحياناً مثار استغرابهم، ولذا فإنَّ كلامه في الرجال قد وجه إليه النقد التالي:

١- يكثر تجهيل الثقات والمعروفين[1]، ومن الأمثلة: أحمد بن علي بن مسلم المعروف بالأبار، قال فيه ابن حزم: مجهول[2]. قال ابن حجر: «قال ابن حزم: مجهول، وهو الأبار الحافظ المتقدم، وهذه عادة ابن حزم إذا لم يعرف الراوي يجهّله، ولو عبر بقوله لا أعرفه

(١) تجريد أسماء الرواة ص ٢٦.
(٢) المحلى ٦/١٦٨.

لكان أنصف، لكن التوفيق عزيز»[1]، وقال الخطيب في هذا الرجل: «كان ثقة حافظاً متقناً حسن المذهب».

وقال الدارقطني: «ثقة»[2].

٢ـ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار: قال ابن حزم: مجهول[3].

قال ابن حجر: «هو الثقة الإمام النحوي المشهور روى عنه الدارقطني وابن مندة والحاكم ووثقوه،ولم يعرفه ابن حزم، فقال في المحلى: إنه مجهول، وهذا هو رمز ابن حزم يلزم منه أن لا يقبل قوله في تجهيل من لم يطلع هو على حقيقة أمره»[4].

٣ـ محمد بن عيسى الترمذي أبو عيسى صاحب الجامع: قال ابن حزم: «مجهول»[5].

قال ابن حجر: «أحد الأئمة، ثقة حافظ»[6]: وقال الذهبي: «ثقة مجمع عليه، ولا التفات إلى قول أبي محمد بن حزم فيه في

---

(١) اللسان ١/ ٢٣١.
(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٣٠٦.
(٣) المحلى ٩/ ٢٦٩.
(٤) اللسان ١/ ٤٣٢.
(٥) التهذيب ٩/ ٣٤٤.
(٦) التقريب ٢/ ١٩٨.

الفرائض من كتاب الإيصال أنه مجهول، فإنه ما عرفه، ولا درى بوجود الجامع ولا العلل اللَّذيْن له»[١]. وقال ابن حجر: أما أبو محمد بن حزم فقد نادى على نفسه بعدم الإطلاع، فقال في كتاب الفرائض من الإيصال: محمد بن عيسى بن سورة مجهول، ولا يقولن قائل: لعله ما عرف الترمذي، ولا اطلع على حفظه، ولا على تصانيفه، فإنَّ هذا الرجل قد أطلق هذه العبارة في خلق من المشهورين من الثقات الحفاظ كأبي القاسم البغوي، وإسماعيل بن محمد الصفار، وأبي العباس الأصم وغيرهم، والعجب أنَّ ابن الفرضي ذكره في كتاب المؤتلف والمختلف، ونبه على قدره، فكيف فات ابن حزمٍ الوقوف عليه»[٢].

قلت: لعل كلام ابن حجر في هذه المسألة أوجه من كلام الحافظ الذهبي، وذلك أنني قد وجدت ابن حزم يسوق في المحلى حديثاً من طريق الترمذي، وهذا نصه: «قال أبو محمد: وموَّه بعضهم بأن قال: قد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفرض أمته زيد بن ثابت»، قلنا: هذه رواية لا تصح إنما جاءت إما مرسلة، وإما مما حدثنا به أحمد بن عمر بن أنس العذري قال: نا علي بن مكي بن عيسون المرادي وأبو الوفاء عبد السلام بن محمد بن علي الشيرازي قال مكي:

---

(١) الميزان ٣/ ٦٧٨.

(٢) التهذيب ٩/ ٣٤٤، وانظر كتاب الإمام الترمذي للعتر، ص ٣١ ـ ٣٢.

نا أحمد بن أبي عمران الهروي: نا أبو حامد أحمد بن علي بن حسنويه المقرىء بنيسابور نا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي نا سفيان بن وكيع نا حميد بن عبد الرحمن عن داود بن عبد الرحمن العطار عن معمر عن قتادة عن أنس عن رسول الله ﷺ فذكره، وفيه: «وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي بن كعب»[1].

٢ـ الكلام في الصحابة وتجهيلهم[2]: من الأمور التي أخذت على ابن حزم أنه قد تكلم في صحابي هو عامر بن واثلة الليثي، فقال: «صاحب راية المختار، كان يقول بالرجعة»[3]:

قال ابن حجر: «وقد أساء أبو محمد بن حزم، فضعف أحاديث أبي الطفيل، وقال: كان صاحب راية المختار الكذاب، وأبو الطفيل صحابي جليل، ولا يؤثر فيه قول أحد، ولا سيما بالعصبية والهوى»[4]، كما أنه وقع في تجهيل بعض الصحابة، فمن ذلك أنه قال في عبد الله بن ثعلبة الصحابي: «مجهول»[5]، وقال ابن حجر: «وزعم ابن حزم أنه مجهول»[6].

---

(١) المحلى ٩/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦، وهو في سنن الترمذي برقم ٣٧٩٠ ـ ٣٧٩١.
(٢) تجريد الرواة ص ٢٦ ـ ٢٧ بتصرف.
(٣) المحلى ٣/ ١٧٤.
(٤) هدي الساري ص ٤١٢.
(٥) المحلى ٦/ ١٢٢.
(٦) التهذيب ٥/ ١٤٥.

وقال في الصحابي: عجير بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف: «مجهول»[1].

قال ابن حجر: «صحابي من مشايخ قريش، وكان ممن بعثه عمر لتجديد أعلام الحرم»[2].

وتَعَقَّب ابن حجر ابن حزم بقوله: «وغفل ابن حزم عن هذا كله، فقال: نافع وأبوه عجير مجهولان»[3].

٣- طرح الرجل بالكلية عند وجود أقل كلام عليه[4]: ومن الأمثلة على صنيعه هذا:

١- عمرو بن شعيب: قال ابن حزم في حقه: «معاذ الله أن تحتج بما لا يصح»[5].

مع أن الكلام فيه لا يرد حديثه، فقد قال ابن حجر: «صدوق»[6]، وقال الذهبي: «مختلف فيه، وحديثه حسن، وفوق الحسن»[7].

---

(١) المحلى ١١/٣٢٦.
(٢) التقريب ٢/١٦.
(٣) التهذيب ٧/١٤٨.
(٤) تجريد أسماء الرواة ص ٢٦.
(٥) المحلى: ٥/ ٨٤.
(٦) التقريب ٢/ ٧٢.
(٧) المغني ٢/ ٤٨٤.

٢ـعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، قال فيه ابن حزم: ضعيف[١].

وقد ضعفه أحمد وابن معين والنسائي، ووثقه أبو حاتم، وعثمان الدارمي، وقال ابن عدي: «له أحاديث صالحة، وكان رجلاً صالحاً، ويكتب حديثه على ضعفه»، وقال أبو داود: «كان فيه سلامة، وليس به بأس»[٢].

ولكن السؤال الذي يطرح: ما هو سبب هذه الملاحظات التي وجدت على أقواله في الجرح ؟.

عند البحث نجد الأجوبة التالية:

١ـ المتابعة لغيره: يقول ابن القطان: «وعذر ابن حزم فيه هو أن له اعتناء بكتاب أبي يحيى الساجي حتى أنه اختصره، ورتبه على الحروف، وشاع اختصاره المذكور لنبله، وكان في كتاب الساجي تخليطٌ لم يأبه له ابن حزم حين الاختصار، فجر لغيره الخطأ»[٣].

٢ـ الوهم: يقول الإمام محمد بن عبد الهادي رحمه الله تعالى: «وهو كثير الوهم في الكلام على تصحيح الحديث، وتضعيفه، وعلى أحوال الرواة»[٤].

---

(١) المحلى ٥/ ٨٤ و ٧/ ٣٧٢.
(٢) التهذيب ٦/ ١٣٧.
(٣) الوهم والإيهام ٢/ ١٩٦/ أ نقلاً عن ابن حزم خلال ألف عام ٢/ ٥٧ ـ ٥٨
(٤) طبقات علماء الحديث ٣/ ٣٥.

٣ـ **التسرع**: يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وكان واسع الحفظ جداً إلا أنه لثقته بحافظته كان يهجم بالقول في التعديل والتجريح، وتبيين أسماء الرواة، فيقع له من ذلك أوهام شنيعة، وقد تتبع كثيراً منها الحافظ قطب الدين الحلبي ثم المصري من المحلى خاصة، وسأذكر منها أشياء»[١].

٤ـ **الاجتهاد**: فيكون هذا الكلام اجتهاداً من أبي محمد رحمه الله تعالى، وهو مأجور في اجتهاده، وإن أخطأ فيه، ولكن مع توفر مصادر الرجال في زماننا هذا نقارن رأي أبي محمد رحمه الله بغيره: فإن وافق غيره، أخذنا به، وإن خالف مخالفة شنيعة رددناه، وإن تفرد بقول لم نجد لغيره فيه كلاماً أخذنا به، وبالله التوفيق.

٢ـ رأيه في ترتيب كتب الحديث:

لابن حزم رأي في ترتيب كتب الحديث، وهو صادر عن خبرة ودراية، وقد ذكر رأيه هذا في كتابه «مراتب الديانة» كما ذكر العلامة أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري حفظه الله تعالى[٢]؛ وقد ساقه الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، وعن الذهبي نقل رأيه كما يلي:

«قال ابن حزم:

---

(١) لسان الميزان ٤/ ٢٢٩.

(٢) ابن حزم خلال ألف عام ٢/ ٢٣٧.

١ـ بل أولى الكتب بالتعظيم صحيحا البخاري ومسلم، وصحيح ابن السكن، ومنتقى ابن الجارود، والمنتقى لقاسم بن أصبغ.

٢ـ ثم بعدها كتاب أبي داود، وكتاب النسائي والمصنف لقاسم بن أصبغ، ومصنف أبي جعفر الطحاوي، ومسند البزار، ومسند ابن أبي شيبة، ومسند أحمد بن حنبل، ومسند إسحاق، ومسند الطيالسي، ومسند الحسن بن سفيان، ومسند ابن سنجر، ومسند عبد الله بن محمد المسندي، ومسند يعقوب بن شيبة، ومسند علي بن المديني، ومسند ابن أبي غرزة، وما جرى مجرى هذه الكتب التي أفردت لكلام رسول الله ﷺ صرفاً.

٣ـ ثم الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره، مثل مصنف عبد الرزاق، ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة، ومصنف بقي بن مخلد، وكتاب محمد بن نصر المروزي، وكتاب ابن المنذر الأكبر والأصغر.

٤ـ ثم مصنف حماد بن سلمة، وموطأ مالك بن أنس، وموطأ ابن وهب، ومصنف وكيع، ومصنف محمد بن يوسف الفريابي، ومصنف سعيد بن منصور، ومسائل أحمد بن حنبل، وفقه أبي عبيد، وفقه أبي ثور»[١].

هذا وقد تعقبه الحافظ الذهبي في موضعين في هذا الترتيب، فقال

---

(١) السير ١٨/ ١٩٧. تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٥٢.

عقب الطبقة الأولى: «ما ذكر سنن ابن ماجه، ولا جامع أبي عيسى، فإنه ما رآهما، ولا دخلا الأندلس إلا بعد موته»[1].

وقال عقب الطبقة الرابعة: «ما أنصف ابن حزم، بل رتبة الموطأ أن يذكر تلو الصحيحين، مع سنن أبي داود والنسائي، لكنه تأدب، وقدم المسندات النبوية الصرف، وإن للموطأ لموقعاً في النفوس، ومهابة في القلوب لا يوازيها شيء»[2].

هذا تصنيف أبي محمد رحمه الله تعالى لطبقات كتب الحديث، ومؤاخذات الحافظ الذهبي عليه، والحق أنَّ كلام أبي محمد كلام الخبير بالأصول الممارس لها، العارف بخفاياها، وهذا إنَّ دلَّ على شيء فإنما يدل على تبحره وسعة معرفته بالحديث الشريف. وقد نقل السيوطي كلام أبي محمد رحمه الله تعالى في التدريب[3]، وكذلك نقله الشيخ المباركفوري في مقدمته لتحفة الأحوذي[4]، ولكن لم أجد فيما اطلعت عليه من تعقب الحافظ ابن حزم في ترتيبه سوى الذهبي في كلامه آنف الذكر. فالله أعلم.

---

(١) السير ١٨/ ٢٠٠، ولعلنا لا نسلم بعدم رؤيته لسنن الترمذي للملحظ الذي ذكرناه سابقاً.
(٢) السير ١٨/ ٢٠٣.
(٣) تدريب الراوي ١/ ١١٠ ـ ١١١.
(٤) مقدمة التحفة ١/ ٦٣ ـ ٦٤.

٣ـ مباحث في علوم الحديث لابن حزم:

نعرض هنا مباحث من علوم الحديث من كلام أبي محمد بن حزم عليه رحمة الله تعالى، بقصد التعريف بغزارة علم هذا الرجل، علَّ في هذا ما يوجه إلى استفادة أكبر من تراثه العظيم، وسيكون كلامنا في هذا من خلال النقاط التالية:

١ـ المرسل عند ابن حزم، يقول ابن حزم: «المرسل من الحديث هو الذي سقط بين أحد رواته، وبين النبي ﷺ ناقل واحد فصاعداً، وهو المنقطع أيضاً»[١].

المرسل عند المحدثين: يطلق المحدثون المرسل على أمرين هما:

أً ـ ما رفعه التابعي بأن يقول قال رسول الله ﷺ[٢]، وهذا اصطلاح المتأخرين.

٢ً ـ بمعنى المنقطع: وهذا مروي عن الخطيب البغدادي وابن الأثير[٣].

فأنت ترى أنَّ ابن حزم يوافق المتقدمين من المحدثين في معنى المرسل.

---

(١) الإحكام ٢/٢.

(٢) قفو الأثر ٦٩/٧٠.

(٣) منهج النقد ص ٣٧٠، والكفاية ص ٥٤٦.

٢ـ العدالة عند ابن حزم: يقول ابن حزم: «وأيضاً فإنَّ العدالة إنما هي التزام العدل، والعدل هو القيام بالفرائض، واجتناب المحارم، والضبط لما روى وأخبر به فقط»[1].

العدالة عند المحدثين هي: «ملكة تحمل على ملازمة التقوى والمروءة، والمراد بالتقوى: اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة»[2].

فأنت ترى هنا أنَّ ابن حزم قد جمع العدالة والضبط في مسمى واحد، والجمهور يميزون بينهما.

٣ـ زيادة الثقة عند ابن حزم: زيادة الثقة هي: «ما ينفرد به الثقة في رواية الحديث من لفظة أو جملة في السند أو المتن»[3].

يرى ابن حزم رحمه الله تعالى وجوب الأخذ بزيادة الثقة، وفي هذا المقام يقول: «وإذا روى العدل زيادة على ما روى غيره، فسواء انفرد بها، أو شاركه فيها غيره، مثله أو دونه أو فوقه، فالأخذ بتلك الزيادة فرض»[4].

---

(١) الإحكام ١/ ١٤٤.
(٢) فتح المغيث ١/ ٢٩٠.
(٣) منهج النقد ٤٢٣.
(٤) الأحكام ٢/ ٩٠.

هذا رأي ابن حزم في زيادة الثقة، ولكن ما رأي المحدثين فيها ؟ هذا ما نعرفه كما يلي:

اختلف العلماء في الأخذ بزيادة الثقة، وكان لهم في الأخذ بها الأقوال التالية:

«١ـ القبول مطلقاً، وهذا رأي جمهور الفقهاء والمحدثين.

٢ـ لا تقبل مطلقاً.

٣ـ وقيل: تقبل إن زادها غير من رواه ناقصاً، ولا تقبل ممن رواه مرة ناقصاً، ومرة بالزيادة»[1].

٤ـ ويرى الحافظ ابن الصلاح أنها تقسم إلى الأقسام التالية:

«١ـ أن يقع مخالفاً منافياً لما رواه سائر الثقات، فهذا حكمه الرد.

٢ـ أن لا يكون فيه منافاة ومخالفة أصلاً لما رواه غيره، كالحديث الذي تفرد برواية جملته ثقة ولا تعرض فيه لما رواه الغير بمخالفة أصلاً، فهذا مقبول.

٣ـ ما يقع بين هاتين المرتبتين، مثل زيادة لفظة في حديث لم

---

(١) انظر الكفاية ص ٥٩٧، وتوضيح الأفكار ٢/ ١٦ ـ ٢٥، وتدريب الراوي ١/ ٢٤٥ـ٢٤٨، وشرح العلل ١/ ٢٠٧ ـ ٢١٧، وفتح المغيث ١/ ٢١٢ ـ٢١٦، والإمام الترمذي ص ١٢٩ ـ ١٣٢، ومنهج النقد ص ٤٢٣.

يذكرها سائر من روى ذلك الحديث»[1].

ولكن ابن الصلاح لم يفصح بحكم هذا القسم[2]، ولكن قال الإمام النووي: «والصحيح قبول هذا الأخير»[3].

وبعد: فهذه أهم مذاهب أهل العلم في زيادة الثقة وحكمها، ولا يفوتنا أن نذكر بأن هناك أقوال أخر، لم نعرض لها لأن المقام لا يحتمل التطويل، وإنما غرضنا التمثيل فقط لا الدرس والمناقشة، ولذا نعود إلى ابن حزم لنسمع حجته فيما قال، يقول ابن حزم: «ومن خالفنا في ذلك، فإنه يتناقض أقبح تناقض، فيأخذ بحديث رواه واحد، ويضيفه إلى ظاهر القرآن، الذي نقله أهل الدنيا كلهم، أو يخصه به، وهم بلا شك أكثر من رواة الخبر الذي زاد عليهم آخر حكماً لم يروه غيره، وفي هذا التناقض من القبح ما لا يستجيزه ذو فهم، وذو ورع، وذلك كتركهم قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] الحديث انفردت به عائشة رضي الله عنها، ولم يشاركها فيه أحد، وهو: لا قطع إلا في ربع دينار فصاعداً، ويترك قوله تعالى في الآيات التي ذكر فيها المحرمات من النساء، ثم قال تعالى بعد ذكر من ذكر ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]، فحرموا الجمع بين

(١) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١١٢، مع التقيد للعراقي.
(٢) شرح شرح النخبة ص ٨١.
(٣) التقريب مع التدريب ١/ ٢٤٧.

المرأة وعمتها، وليس ذلك مذكوراً في آية التحريم، بل فيها إحلال كل ما لم يذكر في الآية، فتركوا ذلك لحديث انفرد به أبو هريرة وأبو سعيد وحدهما، وليس ذلك إجماعاً، فإن عثمان يبيح الجمع بين المرأة وعمتها، ثم يعترضون على حكم واحد رواه عدل، بأن عدلاً آخر لم يرو تلك الزيادة، وأنَّ فلاناً انفرد بها»[1]، ويقول أيضاً: «ولا فرق بين أن يروي الراوي العدل حديثاً فلا يرويه أحدٌ غيره، أو يرويه غيره مرسلاً، أو يرويه ضعفاء، وبين أن يروي الراوي العدل لفظة زائدة لم يروها غيره من رواة الحديث، وكل ذلك سواء واجب قبوله بالبرهان الذي قدمناه في وجوب قبول خبر الواحد العدل الحافظ، وهذه الزيادة وهذا الإسناد هما خبر واحدٍ عدلٍ حافظ، ففرض قبولهما، ولا نبالي روى مثل ذلك غيرهما أو لم يروه سواهما، ومن خالفنا فقد دخل في باب ترك قبول خبر الواحد، ولحق بمن أتى ذلك من المعتزلة، وتناقض في مذهبه، وانفراد العدل باللفظة كانفراده بالحديث كله، ولا فرق»[2].

هذه أدلة أبي محمد رحمه الله تعالى على وجوب الأخذ بزيادة الثقة مطلقاً والحق أنَّ كلامه قابل للمناقشة، وخاصة في ربطه بين رد الزيادة، وإنكار الأخذ بخبر الواحد، والله أعلم.

---

(١) الإحكام ٢/ ٩٠.
(٢) الإحكام ٢/ ٩١.

٤ـ رأي ابن حزم في طرق تحمل الحديث:

لابن حزم رحمه الله تعالى رأي في طرق تحمل الحديث، وفي هذا يقول ابن حزم: «فهذه أربعة أوجه جائزة، وهي: ١ـ مخاطبة المحدث للأخذ عنه، أو سماع المحدث من الآخذ عنه، وإقراره له بصحته، أو كتاب المحدث إلى الآخذ عنه، أو مناولته إياه كتاباً فيه علم، وقوله: وهذا أخبرني به فلان عن فلان، وكل هذه الوجوه قد صحت عن رسول الله ﷺ، وعن جميع الصحابة»[1] فأنت ترى أنه يرى أربعاً من طرق التحمل فقط، وهذه الأربع هي:

١ـ السماع، ٢ـ العرض، ٣ـ المناولة، ٤ـ المكاتبة، دون غيرها من طرق التحمل الأخرى وهي: ١ـ الإجازة، ٢ـ الإعلام، ٣ـ الوصية، ٤ـ الوجادة، وهذا ما يفهم من عبارته السابقة، ولكن لم أجده قد عرض لباقي الطرق ببيان حكمها، اللهم إلا الإجازة، فقد قال فيها: «وأما الإجازة التي يستعملها الناس فباطل، ولا يجوز لأحدٍ أن يجيز الكذب، ومن قال لآخر: ارو عني جميع روايتي دون أن يخبره بها ديواناً ديواناً، وإسناداً إسناداً فقد أباح له الكذب، لأنه إذا قال حدَّثني فلان، أو عن فلان، فهو كاذب أو مدلس بلا شك، لأنه لم يخبره بشيء»[2]، ويقول أيضاً: «وأما الإجازة: فما جاءت قط

---

(١) الإحكام ٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٢) الإحكام ٢/ ١٤٧.

عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه رضي الله عنهم، ولا عن أحدٍ منهم، ولا عن أحدٍ من التابعين، ولا عن أحدٍ من تابعي التابعين، فحسبك بدعة بما هذه صفته»[1].

هذا رأي أبي محمد بن حزم في طرق تحمل الحديث فيما نقلناه عنه، وبعد هذا نعرض عرضاً سريعاً لطرق التحمل حتى يكون القارىء على بصيرة فنقول:

طرق تحمل الحديث عند المحدثين هي:

«**١ـ السماع من لفظ الشيخ**.

٢ـ القراءة على الشيخ: العرض.

٣ـ الإجازة: وهي إذن المحدث للطالب أن يروي عنه حديثاً أو كتاباً أو كتباً من غير أن يسمع ذلك منه أو يقرأه عليه.

٤ـ المناولة: وهي إعطاء الشيخ للطالب شيئاً من مروياته بيده، وإخباره أنه من مروياته.

٥ـ المكاتبة: وهي أن يكتب المحدث إلى الطالب شيئاً من حديثه، ويبعثه إليه.

٦ـ الإعلام: وهو إعلام الشيخ الطالب بأنَّ هذا الحديث أو هذا

---

(١) الإحكام ١٤٨/٢.

الكتاب سماعه من فلان أو روايته، مقتصراً على ذلك دون أن يأذن له بروايته.

٧ـ **الوصية**: وهي أن يوصي الشيخ عند موته أو سفره لشخصٍ بكتاب يرويه ذلك الشيخ.

٨ـ **الوجادة**: وهي أن يجد المرء حديثاً أو كتاباً بخط شخص بإسناده»[(١)].

بهذا ننتهي من بحث رأي أبي محمد في طرق التحمل، وبه ننتهي من التعريف به محدثاً، ولا يفوتني أن أنبه إلى أمرين هما: أولاً: إن ما ذكرناه هنا إنما هو من باب التمثيل لا الحصر، وإلا فأبو محمد رحمه الله تعالى بحر زاخر لا ساحل له، وثانياً: أود أن أذكر بأن هناك دراسة حول آراء ابن حزم وأثره في الدراسات الحديثية، وقد أعدَّها الأستاذ المكي أقلانية في المغرب، وهي بعنوان: ابن حزم الأندلسي وأثره في الدراسات الحديثية، ولكن وللأسف لم نستطع الاطلاع عليها، وإنما علمنا بخبرها عن طريق إحالته عليها في كتابه النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى[(٢)] فاقتضى التنويه.

---

(١) انظر في طرق التحمل: تدريب الراوي ٢/٨ ـ ٥٩، وفتح المغيث ١/١٨ ـ ١٥٩، وتوضيح الأفكار ٢/ ٢٩٥ ـ ٣٤٣ ومنهج النقد ص ٢١٤ ـ ٢٢٢، ولمحات في أصول الحديث ص ٣٤٤ ـ ٣٥٣.

(٢) النظم التعليمية ص ٥٢.

وعلَّنا نطلع عليها فنقبس منها، أو نفرغ لدرس جهود ابن حزمٍ في الحديث وعلومه في دراسةٍ قادمة بعون الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

* * *

٣ـ ابن حزم الفقيه

عرف ابن حزم بالفقيه عند مترجميه، ولا بد لمن يكتب عنه من تعريف به كفقيه يعرفه الدارسون للفقه وأصوله ومدارسه، ومن هنا فقد عقدت العزم على التعريف به كفقيه من خلال النقاط التالية:

أـ الأصول التي بنى عليها اجتهاده الفقهي:

إذا دققنا النظر في تراث أي فقيه، فإننا نجده قد بنى اجتهاده الفقهي على أصول محددة ثابتة يحتكم إليها، وابن حزم الفقيه قد بنى اجتهاده على أصولٍ محددة، قد نصَّ عليها في كتبه في الأصول، وقد اعتمد عليها في كتابه (المحلى)، ومن هنا سندع ابن حزم يحدثنا عن أصوله في الاجتهاد، وهذا ما سنعرفه منه كما يلي:

يقول أبو محمد بن حزم رحمه الله تعالى: «فصح من هذا صحة مستيقنة لا مجال للشك فيها:

أنه لا يحل لأحدٍ أن يفتي، ولا أن يقضي، ولا أن يعمل في الدين إلا بنص قرآن، أو نص حكم صحيح عن رسول الله ﷺ، أو إجماع متيقنٍ من أولي أمر منّا لا خلاف فيه من أحدٍ منهم»[١]. ويقول

---

(١) النبذة ص ١٥.

أيضاً: «الأصول التي لا يعرف شيء من الشرائع إلا فيها، وأنها أربعة وهي: نص القرآن، ونص كلام رسول الله ﷺ الذي إنما هو عن الله تعالى كما صح عنه عليه السلام نقل الثقات أو التواتر، وإجماع جميع علماء الأمة، أو دليل منها لا يحتمل إلا وجهاً واحداً»[1].

وبعد هذا الوصف لأصوله بلسانه نلخص مصادره في الاجتهاد كما يلي:

مصادر التشريع والاجتهاد عند أبي محمد بن حزم هي:

١ـ الكتاب: وهو القرآن الكريم.

٢ـ السنة النبوية.

٣ـ إجماع الصحابة: وفي هذا يقول ابن حزم: «فصح بيقين لا مرية فيه أنَّ الإجماع المفترض علينا اتباعه إنما هو إجماع الصحابة رضي الله عنهم فقط»[2].

٤ـ الدليل: وهو أمر مأخوذ من الإجماع أو النص[3]، وهو عنده يقسم إلى قسمين هما:

(١)ـ الدليل المأخوذ من الإجماع: ويقسم إلى أربعة أقسام هي:

---

(١) الإحكام ١/ ٧١.

(٢) النبذة ص ٢٠ ـ ٢١

(٣) ابن حزم ص ٤٠٠.

١ـ استصحاب الحال.

٢ـ وأقل ما قيل.

٣ـ وإجماعهم على ترك قولة ما.

٤ـ وإجماعهم على أنَّ حكم المسلمين سواء[1].

(٢)ـ الدليل المأخوذ من النص: ويقسم إلى سبعة أقسامٍ هي:

١ـ مقدمتان تنتج نتيجة ليست منصوصة في إحداهما.

٢ـ شرط معلق بصفة، فحيث ما وجد فواجب ما علق بذلك الشرط.

٣ـ لفظ يفهم منه معنى فيؤدى بلفظ آخر.

٤ـ أقسام تبطل كلها إلا واحداً، فيصح ذلك الواحد.

٥ـ قضايا واردة مدرجة، فيقتضي ذلك أن الدرجة العليا فوق التالية لها بعدها، وإنْ كان لم ينص على أنها فوق التالية.

٦ـ أن نقول كل مسكر حرام، فقد صحَّ بهذا أنَّ بعض المحرمات مسكر.

٧ـ لفظ ينطوي فيه معانٍ جمة[2]، ويعقب على هذه الأقسام

---

(١) الإحكام ٥/١٠٦ بتلخيص.

(٢) الإحكام ٥/١٠٦ ـ ١٠٧ بتلخيص.

بقوله: «فهذه هي الأدلة التي نستعملها، وهي معاني النصوص ومفهومها، وهي كلها واقعة تحت النص، وغير خارجة عنه أصلاً»[١]. وبعد ذكر هذه الأمور لا بد لنا من تعريف بها حتى يعرف القارىء الأصول التي يبني ابن حزم عليها اجتهاده، وليكون على بصيرة مما يقرأ، ذلك أنها بحاجة إلى شيء من توضيح وشرح، وهذا ما نفعله بعون الله تعالى في الفقرة التالية:

شرح أقسام الدليل عند ابن حزم:

تقدم بنا الكلام في أنَّ الدليل هو الأمر المأخوذ من الإجماع أو النص، وقد قسم ابن حزم الدليل المأخوذ من النص إلى سبعة أقسام، والدليل المأخوذ من الإجماع إلى أربعة أقسام، ولا بد من تعريف موجز بكل قسم من هذه الأقسام، وهذا ما نذكره هنا كما يلي:

أولاً ـ أقسام الدليل المأخوذ من الإجماع هي:

١ـ استصحاب الحال: حتى نعرف مراد ابن حزم بالاستصحاب لابد لنا من معرفة معنى الاستصحاب عند غيره من أهل العلم: يقول ابن القيم: «إنه استدامة إثبات ما كان ثابتاً أو نفي ما كان منفياً»[٢].

يقول ابن حزم: «إذا ورد النص من القرآن أو السنة الثابتة في أمرٍ

---

(١) الإحكام ٥/١٠٧.
(٢) أعلام الموقعين: ١/٣٣٩.

ما على حكمٍ ما، ثم ادعى مدعٍ أن ذلك الحكم قد انتقل أو بطل من أجل أنه انتقل ذلك الشيء المحكوم فيه عن بعض أحواله، أو لتبدل زمانه، أو لتبدل مكانه، فعلى مدعي انتقال الحكم من أجل ذلك أنْ يأتي ببرهان من نص قرآن، أو سنة عن رسول الله ﷺ ثابتة، على أنَّ ذلك الحكم قد انتقل أو بطل، فإن جاء به صح قوله، وإنْ لم يأت به فهو مبطل فيما ادعى من ذلك، والفرض على الجميع الثبات على ما جاء به النص ما دام يبقى اسم ذلك الشيء المحكوم فيه عليه، لأنه اليقين، والنقلة دعوى، وشرع لم يأذن الله تعالى به، فهما مردودان كاذبان حتى يأتي النص بهما»[1].

وعلى هذا فإن معنى الاستصحاب عند ابن حزم هو: «بقاء الحكم المبني على النص لا بقاء مجرد الأصل»[2]. وحول توضيح هذا المعنى يقول العلامة محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى: «فهو مقيد بأن الأصل يجب أن يكون مبنياً على النص، وليس على مجرد أصل ثابت من الإباحة الأصلية، وذلك لأن الأصل عند ابن حزم في الأشياء ليس هو الإباحة الأصلية بل التوقف حتى يرد النص من الشرع أي شرع كان، ولو كان قبل محمد ﷺ، وأنَّ الناس دائماً مخاطبون بالشرائع، ولكنه لا يلبث طويلاً في الحكم بالتوقف بل يقرر ما يؤدي إلى أن الأصل في

---

(١) الإحكام ٥/ ٢.

(٢) ابن حزم ص ٤١١.

الأشياء الإباحة، وذلك لأنه يقرر أنَّ آدم كان رسولاً من الله لذريته، وقد بين الله سبحانه وتعالى له إباحة الأشياء إلا ما حرمها عليه»[1].

وحول التفريق بين رأي ابن حزم وغيره في الأصل في الأشياء يقول العلامة أبو زهرة: «فالفرق الجوهري بين ابن حزم الظاهري، وبين الذين يقولون إنَّ الأصل في الأشياء الإباحة فرقٌ نظري، لأنهم يقولون ذلك بالعقل، وهو يقول أصلية الإباحة ثابتة بالشرع، وهو النص العام الذي خوطب به آدم وذريته، وهو قائم حتى تقوم أدلة المنع أو اللزوم»[2].

هذا وقد بنى ابن حزم على رأيه في الاستصحاب الأمور التالية:

١ـ إنَّ ما يثبت بيقين لا يزول إلا بيقين مثله، فلا يزول بالشك، فمن كان متوضئاً وشك في حدث نقض الوضوء، يستمر على حكم المتوضىء، ويصلي بوضوئه.

٢ـ إن ما يثبت حله لا يزول الحل إلا بدليل أو بأمرٍ يغير ذاته، فالماء لا ينجس عنده بوقوع النجاسة، إلا إذا غيرت وصفه.

٣ـ أنه لا إلزام إلا بنص، فكل عقدٍ أو شرط لا يثبت فيه نص باسمه وبالتزاماته، لا يلزم به العاقد، لأن الأصل أنه لا إلزام[3].

---

(١) ابن حزم ص ٤١١.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) ابن حزم ص ٤١٥ ـ ٤١٩ بتلخيص.

هذه لمحة نعرف بها مراد أبي محمد رحمه الله تعالى من الاستصحاب.

٢ـ أقل ما قيل:

يقول ابن حزم: «فإذا اختلف الناس في شيء فأوجب قوم فيه مقداراً ما، وذلك نحو النفقات والأروش والديات وبعض الزكوات وما أشبه ذلك، وأوجب آخرون أكثر من ذلك المقدار، فإنهم قد اتفقوا على وجوب إخراج المقدار الأقل كلهم بلا خلاف منهم، واختلفوا فيما زاد على ذلك، فالإجماع فرض، علينا أن نأخذ به، وأما الزيادة فدعوى من موجبها، إن أقام على وجوبها برهاناً من النص أخذنا به والتزمناه، وإنْ لم يأت عليها بنص، فقولٌ مطرح، وهو مبطلٌ عند الله عزَّ وجلّ بيقين لا شك فيه»[1].

وبعد: فهذا مراد أبي محمد رحمه الله تعالى من مصطلحه أقل ما قيل، والذي أفهمه منه هو أنه يقصد به القدر الذي تجتمع فيه الأقوال المختلفة في المسألة المحددة، ولا يفوتنا قبل مغادرة هذا المقام أن ننقل كلام العلامة المرحوم محمد أبي زهرة حيث يقول: «هذا هو القسم الذي سماه ابن حزم أقل ما قيل، وقد اعتبره من قبيل الاعتماد على الإجماع، لأنَّ القائل به لم يعتمد على نصٍّ قائم بذاته، ولم يكن في المسألة إجماع، إنما كان فيها إجماع إن حصل على شرطه على الأقل،

(١) الإحكام ٥/ ٥٠.

فيؤخذ بأقل ما قيل، باعتباره صادف الإجماع المشترط المتفق عليه، فإن كان الصحابة قد اختلفوا في ميراث الجد على أقوال ثلاثة أو أكثر، فإن القدر الأقل، وهو السدس كان موضوع إجماعٍ منهم، فلا يسوغ بحالٍ من الأحوال أن يعطى أقل من السدس، وكل قولٍ يؤدي إلى ذلك باطل، لأنه مخالفٌ للإجماع»[1].

ويقول أيضاً: «ويجدر التنبيه إلى أن ابن حزم يأخذ بذلك في النصوص، فإنه يوجب في فهم النصوص أقل ما يدل عليه النص»[1].

بهذه العجالة أحسب أننا يمكننا معرفة مراده من الأخذ بأقل ما قيل، والله المستعان.

٣ـ إجماع المسلمين على ترك قول ما:

يقول العلامة أبو زهرة في بيان مراد أبي محمد من هذا الأصل: «هو أن يختلف الناس على أقوالٍ، ويجمعوا على ترك قولٍ في الموضوع، فإنَّ هذا التركُ دليل على البطلان، ومنشؤه الإجماع الذي يعتبر إجماعاً على تركه، كما اختلف الصحابة في مسألة ميراث الجد، مع الإعطاء أولاً، ففريق قال إنه يكون كالأب عند فقد الأب، فيأخذ ما يأخذه الأب، ويحجب الأشقاء لأب كما حجبهم الأب، وفريقٌ قال: إنه يكون معهم كأخٍ شقيق إنْ كانوا أشقاء، وكأخ لأب إنْ كانوا لأبٍ،

---

(١) ابن حزم ص ٤٠٨.

بشرط ألا يقل نصيبه عن الثلث، وفريق اعتبره كالأخ إنْ كانوا عصبةً، وعصبة وحده إن كانوا إناثاً، ويأخذ الإناث فرضهن بشرط ألا يقل عن السدس في الحالين، ولم يقل أحدٌ من الصحابة أنه لا يرث إذا لم يكن أب، أو يرث أقل من السدس، فترك الصحابة بالإجماع لهذا دليل على البطلان، وعلى أنه لا يجوز، ويكون ذلك الدليل معتمداً على الإجماع على الترك كما رأيت»[1].

٤ـ إجماعهم على أن حكم المسلمين سواء:

يقول العلامة أبو زهرة رحمه الله: فأساسه أنه إذا كان الحكم قد خوطب به بعض المسلمين فهو حكم لكل المسلمين بمقتضى التسوية العامة بينَ المسلمين، ما دامت لم توجد خصوصية ثابتة من النص نفسه، وأنَّ ذلك ثابت بإجماع المسلمين المنقول من عصر النبي ﷺ، فالأحاديث التي ترد في رجالٍ بأعيانهم، ثم يكون حكمها عاماً، فقد فهم العموم من التسوية العامة بَيْنَ المسلمين[2].

بهذا ننتهي من توضيح أقسام الدليل المأخوذ من الإجماع بعون الله تعالى.

---

(١) ابن حزم ص ٤٠٦.

(٢) ابن حزم ص ٤٠٥.

ثانياً ـ أقسام الدليل المأخوذ من النص:

ذكر ابن حزم رحمه الله تعالى أقساماً للدليل المأخوذ من النص، وقد تقدم بنا ذكرها، ولكن لا بد من توضيحها للقارىء، وهذا ما نقوم به كما يلي:

١ ـ مقدمتان تنتج نتيجة ليست منصوصة في إحداهما:

يقول العلامة أبو زهرة: «هو أن يكون النص مشتملاً على مقدمتين، وتركت النتيجة، ولم ينص عليها، فيكون استخراج النتيجة من المقدمتين هو الدليل»[(١)]، وقد ضرب ابن حزمٍ لهذا النوع مثالاً فقال: «كقوله عليه السلام: كل مسكر خمر، وكل خمر حرام، النتيجة: كل مسكر حرام، فهاتان المقدمتان دليل برهاني على أنَّ كُلّ مسكرٍ حرام»[(٢)]، وحول توضيح المثال الذي ساقه ابن حزم يقول العلامة أبو زهرة: «ويضرب لذلك مثلاً وهو قول النبي ﷺ: كل مسكر خمر، وكل خمر حرام، فإنَّ هاتين مقدمتان ينتج منهما حتماً كل مسكرٍ حرام، ولا يعتبر تحريم كل مسكر غير المنصوص عليه من أنواع الخمر أخذاً بالقياس بل يعتبره من تطبيق ذلك النص، وأنه إنْ لم يصرح بأن كل مسكر حرام، فهو مفهومٌ من النص، لأن النتائج دائماً مطويات في المقدمات»[(٣)].

---

(١) ابن حزم ص ٤٠٠.

(٢) الإحكام ٥/١٠٦.

(٣) ابن حزم ص ٤٠١.

٢ـ شرط معلقٌ بصفة، فحيث ما وجد فواجب ما علق بذلك الشرط.

يضرب ابن حزم لهذا مثلاً فيقول: «مثل قوله تعالى: ﴿إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] فقد صح بهذا بأن من انتهى غفر له»[١]، وفي توضيح مراد ابن حزم من هذا القسم يقول العلامة المرحوم محمد أبو زهرة: «تطبيق عموم فعل الشرط، مثل قوله: ﴿إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] فإن ذلك الشرط يفهم منه أنَّ كل من ينتهي يغفر له الله سبحانه وتعالى سواء أكانوا هم المشركين الذين يتكلم القرآن عنهم أم كان غيرهم، وهذا أيضاً مفهوم من اللفظ، ومن تطبيق الحكم على كل الناس، لأنَّ الناس سواء بالنسبة للأحام الشرعية، فهذا أيضاً لا يعد قياساً، ولكنه دلالة اللفظ ذاته»[٢].

٣ـ لفظ يفهم منه معنى، فيؤدى بلفظ آخر، وقد مثل له ابن حزم بقوله: «مثل قوله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤] فقد فهم من هذا فهماً ضرورياً أنه ليس بسفيه، وهذا هو معنى واحد يعبر عنه بألفاظ شتى، كقولك: الضيغم والأسد والليث والضرغام وعنبسة، فهذه كلها أسماء معناها واحد وهو الأسد»[٣]. وحول

---

(١) الإحكام ٥/١٠٦.
(٢) ابن حزم ص ٤٠١.
(٣) الإحكام ٥/١٠٦.

توضيح مراد ابن حزم بهذا النوع يقول العلامة أبو زهرة رحمه الله: «أنْ يكون المعنى الذي يدل عليه اللفظ متضمناً في ذاته نفي معنى آخر لا يمكن أن يتلاءم مع المعنى الذي اشتمل عليه اللفظ مثل: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] مع قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] فإن ذلك يتضمن أيضاً النهي عن الضرب، لأن الضرب، والنهي عن النهر، وأن يقول لهما أف، والأمر بالإحسان معانٍ لا تتلائم»[١].

٤ـ أقسام تبطل كلها إلا واحداً فيصح ذلك الواحد: يشرح ابن حزم مراده بهذا فيقول: «مثل أنْ يكون هذا الشيء إما حرام فله حكم كذا، وإما فرض فله حكم كذا، وإما مباح فله حكم كذا، فليس فرضاً ولا حراماً، فهو مباح له حكم كذا، أو يكون قوله يقتضي أقساماً كلها فاسدة، فهو قول فاسد»[٢]. وحول توضيح مراد ابن حزم بهذا القسم يقول المرحوم محمد أبو زهرة: «أنْ يكون الشيء غير منصوص على حكمه، فيقال: الشيء إما أنْ يكون حراماً بالنص، فيكون حكمه الإثم إنْ فعل، وإما أنْ يكون فرضاً بالنص فيكون آثماً إنْ ترك، وإما أنْ يكون مباحاً لا فرض، ولا تحريم، فله أنْ يفعل، وإما أن يترك، فإذا لم يكن نص بالفرضية، ولا نص بالتحريم، فهو

---

(١) ابن حزم ص ٤٠١ ـ ٤٠٢

(٢) الإحكام ٥/١٠٦.

مباح، وهذا القسم في الحقيقة في باب الاستصحاب»[1].

٥ـ قضايا واردة مدرجة فيقتضي ذلك أن الدرجة العليا فوق التالية لها بعدها، وإن كان لم ينص على أنها فوق التالية، وقد مثل لهذا ابن حزم فقال: «مثل قولك: أبو بكر أفضل من عمر، وعمر أفضل من عثمان، فأبو بكر أفضل من عثمان»[2]، ويوضح العلامة المرحوم أبو زهرة مراد ابن حزم بهذا القسم فيقول: «وهذا في الحقيقة داخلٌ في القسم الأول من الدليل لأنه ذكر للمقدمتين، وترك للنتيجة التي تفهم ضمناً من القول»[3].

٦ـ أن تقول كل مسكر حرام، فقد صحَّ بهذا أنَّ بعض المحرمات مسكر: يوضح العلامة أبو زهرة مراد ابن حزم فيقول: «ومنها أيضاً ما سماه عكس القضايا، كأن يكون النص هكذا كل مسكر حرام، فيعكس عكساً مستوياً هكذا يجعل المحمول موضوعاً، والموضوع محمولاً، فيقال: بعض الحرام مسكر، وإنَّ ذلك أيضاً من الدلالات التي تفهم من النص ذاته»[4].

٧ـ لفظ ينطوي فيه معان جمة: يوضح ابن حزم هذا بقوله: «مثل

---

(١) ابن حزم ص ٤٠٢.
(٢) الإحكام ٥/١٠٧.
(٣) ابن حزم ص ٤٠٢.
(٤) ابن حزم ص ٤٠٣.

قولك: زيد يكتب، فقد صحَّ من هذا اللفظ أنه حيٌّ، وأنَّه ذو جارحة سليمة يكتب بها، وأنه ذو آلات يصرفها، ومثل قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ ﴾ [الأنبياء: ٣٥] فصح من ذلك أنَّ زيداً يموت، وأنَّ هنداً تموت، وأنَّ عمراً يموت، وهكذا كل ذي نفسٍ، وإنْ لم يذكر نص اسمه»[1]. ويوضح العلامة أبو زهرة مراد ابن حزم بهذا القسم فيقول: «ومنها أنْ يكون اللفظ دالاً على معنى بالقصد والذات، ولهذا المعنى لوازم، فتفهم هذه اللوازم من اللفظ مثل زيد يكتب، فإنَّ الجملة وضعت للكتابة، ولكنها تدل على أنَّ زيداً حيّ، وأنَّ أصابعه تتحرك، وأنَّه سليم إحدى اليدين، وهكذا، وإنَّ هذا هو ما يفهم بالإشارة لا بالعبارة، ويسميه المناطقة الدلالة التضمنية»[2].

وبعد إيراد هذه الأقسام للدليل يعقب عليها ابن حزم فيقول: «فهذه هي الأدلة التي نستعملها، وهي معاني النصوص ومفهومها، وهي كلها واقعة تحت النص، وغير خارجة عنه أصلاً»[3].

ويعقب العلامة أبو زهرة رحمه الله على كلام ابن حزم فيقول: «وإنا نوافق ابن حزم كل الموافقة على أنَّ ما أسماه أدلة من هذه الأقسام كلها هي مفهومة من النص وليست خارجة عنه، إنما هي منه

---

(١) الإحكام ٥/١٠٧.
(٢) ابن حزم ص ٤٠٣.
(٣) الإحكام ٥/١٠٧.

كلها، وليست من القياس في شيء إلا على رأي الذين يقولون إنَّ دلالة الأولى من باب القياس، فإنه يصح أنْ تكون دلالة اللفظ على المعاني المتلائمة من قبيل ذلك، لكن الحق في هذا أنه من مفهوم اللفظ لا من شيء خارج عنه كما أشرنا في موضعه»[1].

وبعد: فهذا توضيح للأصول التي بنى ابن حزم عليها اجتهاده، وننتقل بعد هذا إلى جزئية أخرى في هذا البحث بعون الله تعالى.

ب ـ رأيه في المصادر الأصولية الأخرى عند غيره من المجتهدين:

من المعلوم أن ثمة مصادر أخرى اعتمدها مخالفو الظاهرية في الاستنباط والاجتهاد، والسؤال: ما هو موقف ابن حزم منها، هذا ما نعرفه كما يلي:

١ـ رأيه في القياس: يرى ابن حزم أن القياس باطل في دين الله، ولا يجوز الأخذ به، يقول ابن حزم: «ولا يحل الحكم بالقياس في الدين، والقول به باطل، مقطوع على بطلانه عند الله تعالى»[2]. ويقول أيضاً: «وذهب أصحاب الظاهر إلى إبطال القول بالقياس في الدين جملة»[3].

---

(١) ابن حزم ص ٤٠٣.
(٢) النبذة الكافية ص ٦١.
(٣) الإحكام ٧/ ٥٥.

٢ـ **رأيه في الاستحسان**: يرى ابن حزم بطلان الاستحسان وعدم جواز الأخذ به في دين الله، يقول في هذا المقام: «ثم حدث الاستحسان في القرن الثالث، وهو فتوى المفتي بما يراه حسناً فقط، وذلك باطل لأنه اتباع الهوى، وقول بلا برهان، والأهواء تختلف في الاستحسان»(١).

٣ـ **رأيه في شرع من قبلنا**: يرى ابن حزم عدم جواز الأخذ بشرع من قبلنا، يقول في هذا المقام: «ولا يحل الحكم بشريعة نبي قبلنا لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]»(٢) ويقول أيضاً: «وقال آخرون: هي ساقطة عنا، ولا يجوز العمل بشيء منها إلا أن نخاطب في ملتنا بشيء موافق لبعضها، فنقف عنده ائتماراً لنبينا ﷺ لا اتباعاً للشرائع الخالية، قال أبو محمد: وبه نقول»(٣). ويقول أيضاً: «ولا يحل الحكم بشريعة نبي من قبلنا»(٤).

٤ـ **رأيه في الاحتجاج بعمل أهل المدينة**: يرى ابن حزم عدم الاحتجاج بعمل أهل المدينة، ولذا يقول في هذا المقام:

«ولا تلتقف حكم البلاد وجريها على عملٍ ممن أغار وأنجدا»(٥)

---

(١) ملخص إبطال القياس ص ٥.
(٢) النبذة الكافية ص ٥٧.
(٣) الإحكام ٥/ ١٦١.
(٤) النبذة ص ٥٧.
(٥) نوادر ابن حزم ٢/ ١١٦.

ويقول أيضاً: «والواجب إذا اختلف الناس أو نازع واحد في مسألة ما، أن يرجع إلى القرآن، وسنة رسول الله ﷺ، لا إلى شيء غيرهما، ولا يجوز الرجوع إلى عمل أهل المدينة وغيرهم»[١].

٥ـ **رأيه في التقليد:** يرى ابن حزم حرمة التقليد في دين الله، وفي هذا يقول: «والتقليد حرام، ولا يحل لأحد أن يأخذ بقول أحد بلا برهان»[٢].

ويقول أيضاً: «ولا يحل لأحد أن يقلد أحداً لا حياً ولا ميتاً»[٣].

٦ـ **رأيه في الأخذ بمذهب الصحابي:** لا يحتج ابن حزم بمذهب الصحابي، ويقول في هذا: «فصح بكل ما ذكرنا أنه لا يحل اتباع فتيا صاحب، ولا تابع، ولا أحد دونهم إلا أن يوجبها نص أو إجماع»[٤]، ولكن يرى الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل أنَّ له أكثر من رأي في هذه المسألة، يقول: «الأخذ بقول الصاحب إذا لم يعرف له مخالف مما اضطرب فيه رأي أبي محمد»[٥].

---

(١) مناهج الاجتهاد ص ٧٠٦.
(٢) المحلى ١/ ٥٥.
(٣) المحلى ١/ ٦٦.
(٤) الإحكام ٦/ ٨٧ ـ ٨٨
(٥) نوادر ابن حزم ٢/ ١٣٢.

٧ـ **رأيه في الأخذ بسد الذرائع**: يرى ابن حزم عدم الأخذ بسد الذرائع، ويقول في هذا الباب:

«ومن قال محتاطاً بردع ذريعةٍ   برأي رآه قد أتى اللهو والردى»[(١)]

ويقول أيضاً: «فهذا يبين أنه لا يجوز التحري في اجتناب ما جاء عن الله تعالى على لسان نبيه ﷺ، وإن كانت رخصة، وأن كل ذلك حق وسنة ودين، فبطل ما تعلقوا به من الاحتياط الذي لم يأت به نص ولا إجماع»[(٢)].

وبعد: فهذا رأي أبي محمد بن حزم في جملة من مصادر التشريع المتعارف عليها عند المدارس الفقهية الأخرى، دون إخلال بموضوع الكتاب الذي نحن بصدده، وبهذا نزعم أننا قد ألمنا إلمامة سريعة برأي ابن حزم في مصادر التشريع المختلف فيها عند الأصوليين، وردِّه لها، بما يناسب المقام، وبهذا ننتهي من معرفة الأصول التي بنى عليها اجتهاده، وبالله التوفيق.

جـ ـ أثره فيمن بعده من العلماء:

ابن حزم فقيه شديد المراس، ولا شك أنَّ من جاء بعده قد تأثر به، ونسج على منواله، كما أنَّ بعضاً من أهل العلم قد نكب عن

---

(١) نوادر ابن حزم ٢/ ١١٥.
(٢) الإحكام ٦/ ١٥ ـ ١٦

طريقه، وأساء الظن به، وإن كان الخطب في الخلاف يسيراً، ولذا أردت في هذه العجالة بيان أثره في غيره من العلماء ممن جاء بعده، وهذا ما نذكره كما يلي:

أ ـ اتباع مذهبه في الفروع: من جوانب تأثر من جاء بعده به أنهم قد تابعوه في مذهبه وأقواله في الفروع، فقد كانوا حملة للمذهب الظاهري بعده، ونذكر في هذا المقام الأسماء التالية على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ أحمد بن عبد الملك بن أبي مروان الأنصاري: كان فقيهاً ظاهرياً على طريقة ابن حزم[١].

٢ ـ بكر بن خلف بن سعيد بن عبد العزيز الغافقي[٢].

٣ ـ تلميذه الحميدي محمد بن أبي نصر[٣].

٤ ـ الحافظ أبو الخطاب بن دحية[٤].

٥ ـ يزيد الراضي بن محمد بن عباد: أشرف على مذهب ابن حزم، فمهر في الأصول، وذهب إلى النظر والاختيار[٥].

---

(١) التكملة ١/٥٨، وابن حزم خلال ألف عام ٢/١١.
(٢) ابن حزم خلال ألف عام ٢/ ١١.
(٣) ابن حزم لأبي زهرة ص ٥٧٦.
(٤) ابن حزم ص ٥٧٧.
(٥) الحلة السيراء ٢/ ٧٠ ـ ٧٥ نقلاً من ابن حزم ٢/ ١٠.

نكتفي بهؤلاء، ولا شك أن الظاهريين عامَّة، والحزميين خاصة كثر، وقد وعد العلامة أبو عبد الرحمن بن عقيل بتأليف كتابٍ في أخبار أهل الظاهر[1]، أسأل الله أنْ يعينه على إتمامه وطبعه.

٢ـ التأثر بآرائه الفقهية: فقد تأثر أئمة أعلام بآراء ابن حزم الفقهية، وكانت لهم موافقات له، ومن هؤلاء:

١ـ الإمام ابن تيمية: يقول ابن أبي شامة: لم يجيء بعد الإمام ابن حزم من يساميه أو يساويه في سعة علمه، وقوة حجته، وطول باعه، وحفظه للسنة، وقدرته على الاستنباط إلا شيخ الإسلام، مجدد القرن السابع أحمد تقي الدين بن تيمية، وهو قد استفاد من كتبه، واستدرك عليها، وحرَّرَ ما كان من ضعف فيها، وكان على شدته في الحق مثله، وأنزه منه قلماً، وأكثر أدباً مع أئمة الفقهاء من أهل الرأي والقياس، على أنه لم ينف القياس البتة، ولكنه فرّق بين القياس الصحيح الموافق للنصوص، والقياس الباطل المخالف لها بما لم يسبقه إليه أحد من علماء الأمة فيما نعلم»[2].

٢ـ الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: فقد كان له تأثر بآراء ابن حزم

---

(١) ابن حزم ٢/ ٨.

(٢) ابن حزم خلال ألف عام ٢/ ٢٠ نقلاً عن تعليقة لابن أبي شامة على الإحكام لابن حزم.

رحمه الله تعالى، ومناقشات واختيارات وافق فيها ابن حزم بحسب اجتهاده واطلاعه رحمه الله.

٣ـ الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني: حيث كان له اعتناء بكتب أبي محمد بن حزم ومتابعة لآرائه وانتصار له في مسائل يراها الباحث في كتبه أمثال: سبق السلام، وحاشية العدة على شرح العمدة وغيرها.

٤ـ والإمام محمد بن علي الشوكاني: يقول العلامة أبو عبد الرحمن بن عقيل: «ومن المتعاطفين مع ابن حزم وأهل الظاهر الإمامان الأمير الصنعاني والشوكاني، فكانا كثيري النقل لمذهب ابن حزم وأهل الظاهر، بل كان الشوكاني كثير التنديد بمعارضي أهل الظاهر»[١].

كما أنَّ للنهضة الفقهية المعاصرة له تأثراً بأبي محمد وفقهه[٢]، وذلك عبر دراسات كتبت حول مذهبه، ودراسات مقارنة جعلت كتبه منهلاً لها.

٣ـ نماذج من فقهه:

بعد هذا نعرض لمسائل من فقه ابن حزم نرى فيها باعه في الفقه، وطريقته في الاستدلال والاحتجاج بما لعله يقرب إلى النفوس حب

---

(١) ابن حزم ٢/ ٢٠ ـ ٢١.
(٢) انظر وصفاً لبعضها في ابن حزم ٤/ ٧ ـ ٨.

مرافقة هذا الرجل عبر مدارسته كتبه، وهذا ما نذكره كما يلي:

١ـ قال أبو محمد: وفرض على الأغنياء من أهل كل بلدٍ أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك، إن لم تقم الزكوات بهم، ولا في سائر أموال المسلمين بهم، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكنٍ يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارّة، برهان ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الإسراء: ٢٦] وقال تعالى: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء: ٣٦] فأوجب تعالى حق المساكين وابن السبيل، وما ملكت اليمين مع حق ذوي القربى، وافترض الإحسان إلى الأبوين، وذي القربى، والمساكين، والجار، وما ملكت اليمين، والإحسان يقتضي كل ما ذكرنا، ومنعه إساءة بلا شك»[1].

قلت: هذه مسألة نفيسة من فقه أبي محمد بن حزم رحمه الله، تدلك على عظيم فقهه، وبعد نظره، وقد عقب العلامة أحمد شاكر رحمه الله تعالى على هذه المسألة فقال: «من هذا وأمثاله في الشريعة الإسلامية يرى المنصف أنَّ التشريع الإسلامي في الذروة العليا من

---

(١) المحلى ٦/ ١٥٦.

الحكمة والعدل، وليتَ إخواننا الذين غرتهم القوانين الوضعية، وأشربتها نفوسهم يطلعون على هذه الدقائق ويتفقهونها؛ ليروا أنَّ دينهم جاءهم بأعلى أنواع التشريع في الأرض، تشريع يشبع القلب والروح، ويطبق في كل مكان وكل زمان، و ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤] ولو فَقِه المسلمون أحكام دينهم، ورجعوا إلى استنباطها من المنبع الصافي، والمورد العذب ـ الكتاب والسنة ـ وعملوا بما يأمرهم به في خاصة أنفسهم، وفي أمورهم العامة، وفي أحوال اجتماعهم، لو عملوا هذا لكانوا سادة الأمم، وهل قامت الثورات المخربة الهادمة، والفتن المهلكة إلا من ظلم الغني للفقير، ومن استئثاره بخير الدنيا، وبجواره أخوه يموت جوعاً وعرياً، والمثل كثيرة، ولو فقه الأغنياء لعلموا أنَّ أول ما يحفظ عليهم أموالهم إسداء المعروف للفقراء، بل القيام نحوهم بما أوجبه الله على الأغنياء، فليفقهوا وليعلموا، وليعملوا، فقد جاءتهم النذر هدانا الله جميعاً»[1].

٢ـ قال أبو محمد: «ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة، أو لحم خنزير، وهو يجد طعاماً فيه فضل عن صاحبه، لمسلم أو ذمي، لأن فرضاً على صاحب المال إطعام الجائع، فإذا كان ذلك كذلك، فليس بمضطر إلى الميتة، ولا إلى لحم الخنزير، وبالله التوفيق، وله أن يقاتل على ذلك، فإن قتل فعلى قاتله القود، وإن قتل المانع فإلى لعنة الله،

(١) هامش المحلى ٦/١٥٦.

لأنه منع حقاً، وهو طائفة باغيةٌ، قال تعالى: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩] ومانع الحق باغ على أخيه الذي له الحق، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانع الزكاة، وبالله تعالى التوفيق»[١].

قلت: وهذه أيضاً من نوادر فقه الرجل، ومن آرائه الحكيمة النيّرة.

٣ـ قال أبو محمد بن حزم: «الضيافة فرض على البدوي، والحضري، والفقيه، والجاهل، يوم وليلة مَبَرَّةٌ وإتحاف، ثم ثلاثة أيام ضيافة، ولا مزيد، فإن زاد فليس قراه لازماً، وإن تمادى على قراه فحسن، فإن منع الضيافة الواجبة فله أخذها مغالبة، وكيف أمكنه، ويقضى له بذلك»[٢].

قلت: وهذا من فقه ابن حزم السديد، ولفتاته الرائعة التي يجمل التنقيب عنها وعن أمثالها، وإتحاف الدارسين بها، ليعرف الخاصة والعامة أنَّ لهذا الرجل فقه أصيل، ومدرسة أثرية لا يستهان بها، وباع طويل في الحجة والاستدلال لا يجوز بحال من الأحوال أن نغمطه حقه فيه. وبعد هذه الأمثلة ننتهي بعون الله تعالى من بحث ابن حزم فقيهاً، وننتقل إلى جانب آخر من جوانب نبوغه، وبالله التوفيق.

---

(١) المحلى ٦/ ١٥٩.

(٢) المحلى ٩/ ١٧٤.

٤ـ ابن حزم المؤرخ

ومن جوانب نبوغ ابن حزم معرفته بالتأريخ، وبحثه فيه، وقد وصفه مترجموه بذلك، يقول الدكتور عبد الكريم خليفة: «أما في مجال التاريخ والأخبار، فابن حزم مؤرخ مبرز، واسع الاطلاع، عميق المعرفة، درس تاريخ مختلف الشعوب في المشرق والمغرب، وكان له إلمام واسعٌ بحوادث الأندلس مما جعل تلميذه الحميدي يروي عنه معظم الحوادث والأخبار في كتابه (جذوة المقتبس)، وما ذكره في رسالته ـ فضل الأندلس وذكر رجالها ـ في صدر حديثه عن الأخبار، يلقي ضوءاً على ثقافته التاريخية، وماله فيها من باع طويل، كما يدل على مقدرته في النقد والتمييز»[١]. ولذا فقد وصفه الدكتور زكريا إبراهيم بالمؤرخ الممتاز لاجتماع صفات الصدق والضبط والدقة وقوة الملاحظة، وحسن الاستدلال بما جعل منه راوية أميناً، ومحققاً نزيها، ومؤرخاً واسع الأفق[٢].

---

(١) ابن حزم الأندلسي حياته وأدبه ص ١١٠.
(٢) ابن حزم الأندلسي ص ٢٠٦.

هذا وصف مترجميه لعنايته بالتاريخ، وجهوده فيه، وتتبعه لمسائله، وهذا يحفز الدارس إلى الوقوف طويلاً عند الثقافة التاريخية عنده، والاطلاع الموسوعي الذي كان عليه، لتتفتح له آفاق جديدة من المعرفة عند ابن حزم، وهي بلا شك جديرة بكل اهتمام ودرس لائقين بها.

كل هذا الذي ذكر عن الرجل وعنايته بالتاريخ مع العلم أنَّ التاريخ قد احتل حيزاً صغيراً بين مؤلفاته، وفي هذا يقول الدكتور إحسان عباس: «يحتل التاريخ حيزاً صغيراً بين مؤلفات ابن حزم على غزارتها ووفرتها، وخاصة إذا قورن بمعاصره ابن حيَّان، فهو لم يتوفر على الكتابة في التاريخ بمعناه الشمولي، ولا على تفسير التاريخ بحسب منهج منظم، وإنما اقتصر جهده ـ في حدود ما نعرفه من أسماء مؤلفاته ـ على ملخصات مركزةٍ موجزةٍ»[1]، وحول قلة المادة التاريخية في مصنفات ابن حزم يحدثنا العلامة أبو عبد الرحمن بن عقيل فيقول خلال كلامه على رسالة (نقط العروس): «الراجح عندي أنَّ ابن حزم استوعب دراسة التاريخ على ابن الجسور وغيره، وسجَّل أحداث الأندلس في بعض كتبه، ولم يكن التاريخ غايته بعد أن كان إماماً لأهل الظاهر ليؤلف فيه موسوعة، لهذا آثر جمع هذه الضميمة

---

(١) مقدمة الجزء الثاني من رسائل ابن حزم ص ٧.

ليتيسر حفظها»[1] قلت: ومهما يكن، فإنَّ المادة التاريخية الموجودة في رسائل ابن حزم:

١ـ نقط العروس في تاريخ الخلفاء.

٢ـ رسالة في أمهات الخلفاء.

٣ـ رسالة في جمل فتوح الإسلام.

٤ـ رسالة في أسماء الخلفاء.

٥ـ رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها.

٦ـ جوامع السيرة.

٧ـ جمهرة أنساب العرب.

٨ـ ما نقل عن ابن حزم من أخبار تاريخية في كتب التاريخ، تشكل مادة تاريخية لا يستهان بها، ولا تقل عن المادة التاريخية عند المتوسطين من كتَّاب التاريخ، ولذا فبعد هذا الوصف للتاريخ عنده ستكون دراستنا له كمؤرخ من خلال النقاط التالية:

١ـ المعرفة بالأنساب.

٢ـ السيرة النبوية.

٣ـ التاريخ العام.

وهذا ما نعرض له بعون الله عزَّ وجلّ كما يلي:

---

(١) ابن حزم خلال ألف عام ٢/ ١١٩.

١ـ المعرفة بالأنساب:

لابن حزم معرفة بعلم الأنساب، فقد صنف فيه كتابه «جمهرة أنساب العرب»، وقد قال في مقدمته: «فجمعنا في كتابنا هذا تواشج أرحام قبائل العرب، وتفرع بعضها من بعض، وذكرنا من أعيان كل قبيلة مقداراً يكون من وقف عليه خارجاً من الجهل بالأنساب، ومشرفاً على جمهرتها، وبالله تعالى التوفيق، وبدأنا بولد عدنان، لأنهم الصريح من ولد إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل رسول الله ﷺ، ولأن محمداً رسول الله ﷺ ـ سيد ولد آدم عليه السلام ـ من عدنان، وابتدأنا من ولد عدنان بقريش لموضعه عليه السلام منهم، وابتدأنا من قريش بالأقرب فالأقرب منه عليه السلام، ثم الأقرب فالأقرب من قريش، وابتدأنا من ولد قحطان بالأنصار رضي الله عنهم لأنهم أولى الناس بذلك، لتقديم الله تعالى إياهم في الفضل، ولما أظهر الله عزَّ وجلّ بأيديهم من الدين، فأوجب لهم بذلك حقاً على كل مسلم، ثم الأقرب فالأقرب من الأنصار»[١].

وقد وصف الباحثون هذا الكتاب، ومن كلامهم في وصف هذا الكتاب ما يلي:

١ـ يقول الدكتور زكريا إبراهيم: «وعلى الرغم مما اتسم به هذا

---

(١) جمهرة أنساب العرب ١/ ٦.

الكتاب من إيجاز واضح، فإنه مع ذلك يعد من أوسع كتب النسب وأحفلها وأدقها، وأكثرها استيعاباً»[1].

٢ـ ويقول العلامة أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري متحدثاً عن مزايا الجمهرة: «ولكن في جمهرة ابن حزم إضافات فذة فيما يتعلق بتفرع الأنساب بعد ابن الكلبي، ومن ناحية استيعاب الأعلام، ومن ناحية التعقب على ابن الكلبي، ومن ناحية استيعاب أنساب الأشراف من العباسيين والأمويين، والعلويين، ومن ناحية بيوت أهل الأندلس، ومن ناحية نسب البربر، ومن ناحية أصدقائه، وقد أشار إلى مصادر نادرة لا توجد عند ابن الكلبي»[2].

هذا عن كتاب ابن حزم في النسب، وأما عن نظرته إلى علم النسب، فإليك مقتطفات من كلامه في هذا الباب كما يلي:

(١)ـ عن أهمية النسب يقول: «فوجب بذلك أنَّ علم النسب علم جليل رفيع، إذ به يكون التعارف»[3].

(٢)ـ أقسام علم النسب:

قسم ابن حزم رحمه الله تعالى علم النسب إلى الأقسام التالية:

١ـ ما كان تعلمه فرضاً: وهذا يشمل ما يلي:

---

(١) ابن حزم ص ٢٠٨.
(٢) ابن حزم خلال ألف عام ٤/ ١١.
(٣) الجمهرة ١/ ٢.

أ ـ معرفة النبي ﷺ ونسبه: وفي هذا يقول ابن حزم: «فأما الفرض من علم النسب، فهو أن يعلم المرء أن محمداً ﷺ الذي بعثه الله تعالى إلى الجن والإنس بدين الإسلام، هو محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي، الذي كان بمكة، ورحل منها إلى المدينة»[(١)].

ب ـ معرفة من تجوز لهم الخلافة: وهم قريش، قال أبو محمد: ومن الفرض في علم النسب أن يعلم المرء أن الخلافة لا تجوز إلا في ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، ولو وسع جهل هذا لأمكن ادعاء الخلافة لمن لا تحلُّ له، وهذا لا يجوز أصلاً»[(٢)].

جـ ـ معرفة نسبه الخاص، قال ابن حزم: «وأن يعرف الإنسان أباه وأمه، وكل من يلقاه بنسبٍ في رحمٍ محرمةٍ، ليجتنب ما يحرم عليه من النكاح فيهم، وأنْ يعرف كل من يتصل به برحمٍ توجب إرثاً، أو تلزمه صلة، أو نفقة، أو معاقدة، أو حكماً ما، فمن جهل هذا، فقد أضاع فرضاً واجباً عليه، لازماً له من دينه»[(٣)].

٢ـ القسم الثاني: الذي تكون معرفته من النسب فضلاً في الجميع، وفرضاً على الكفاية[(٤)]، وهذا يشمل ما يلي:

---

(١) الجمهرة ١/ ٢.
(٢) الجمهرة ١/ ٢.
(٣) الجمهرة ١/ ٢.
(٤) الجمهرة ١/ ٣.

أ ـ معرفة أمهات المؤمنين: المفترض حقهن على جميع المسلمين، ونكاحهن على جميع المؤمنين حرام[1].

ب ـ معرفة أسماء أكابر الصحابة من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم الذين حبهم فرض[2].

جـ ـ معرفة من يجب له حق في الخمس من ذوي القربى[3].

د ـ معرفة من تحرم عليهم الصدقة من آل محمدٍ عليه السلام، ممن لا حقَّ له في الخمس، ولا تحرم عليه الصدقة[4].

وبعد: فهذه نبذة من معرفة الرجل بالنسب، وتصنيفه فيه بما لعله يعرف القارىء الكريم وجهاً من أوجه نبوغ ابن حزم رحمه الله تعالى، ولم نشأ هنا الوقوف طويلاً عند هذه المسألة، وحسبنا أن نشير إلى بعض الدراسات حول أثر ابن حزم في علم النسب، فقد كتبت البحوث التالية فيما توصلنا إليه:

١ ـ (ابن حزم عالم الأنساب): للكاتب الأسباني خاشينتو بوسك فيلا ـ تعريب عبد اللطيف عبد الحليم، مجلة الثقافة المصرية، السنة

---

(١) الجمهرة ١/٣.
(٢) الجمهرة ١/٣.
(٣) الجمهرة ١/٣.
(٤) الجمهرة ١/٣.

الخامسة، عدد ٥٨ يوليو ١٩٧٨، ص ٧٨ ـ ٨٢، و ص ١١٠[١].

٢ـ (ابن حزم النسابة): للدكتور بوسك بيلا[٢].

٣ـ (نظرة في كتاب جمهرة أنساب العرب) للشيخ حمد الجاسر. مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق م ٢٥، ص ٢٤٧ ـ ٢٥٨[٣].

٤ـ مقالة عن جمهرة أنساب العرب بقلم إدارة تحرير مجلة الكتاب عدد ٣، السنة الرابعة، م ٧ جمادى الأولى، سنة ١٣٦٨ هـ[٤].

هذا ما تيسر لنا التوصل إلى معرفته من دراسات حول كتاب الجمهرة لابن حزم، والفضل لله أولاً، ثم للعلامة أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في كتابه القيم (ابن حزم)، فقد جمع فيه فأوعى فيما يخص ابن حزم، وبهذا ننتهي من بحث معرفة ابن حزم للأنساب لننتقل إلى مجال آخر من مجالات نبوغه المتعددة، والله المستعان.

٢ـ معرفته بالسيرة النبوية:

لابن حزم معرفة بالسيرة، فقد صنف فيها تصنيفاً، ذكره

(١) ابن حزم خلال ألف عام ٤/ ١٧٦ ـ ١٧٧.
(٢) ابن حزم ٤/ ١٧٧.
(٣) ابن حزم ٤/ ١٩٥.
(٤) ابن حزم ٤/ ١٩٦.

مترجموه، فمن ذلك قول الإمام الذهبي: «وله السيرة في مجلد»[1]، وقد طبع باسم (جوامع السيرة النبوية)، وقد كان كتابه (جوامع السيرة) نموذجاً طريفاً في التأليف في السيرة، وقد حدثنا عنه الدكتور زكريا إبراهيم فقال: «ومن هنا فقد قدم لنا ابن حزم في كتابه جوامع السيرة عرضاً طريفاً للسيرة النبوية كشف لنا به عن سعة اطلاعه، ودقة ضبطه في تقييد التواريخ، ووضوح منهجه في معالجة المسائل التاريخية من حيث موضوعها وزمنها»[2]، وقد وصف ابن حزم في هذا الكتاب باتخاذه منهجاً واضحاً في معالجة السيرة النبوية، وذلك بتفصيله الحديث على كل رواية من روايات أصحاب المغازي[3]

قلت: وعند النظر في كتابه جوامع السيرة فإننا نلحظ الأمور التالية:

١ـ كان هذا الكتاب خلاصة محررة للسيرة النبوية، فقد أبقى على اللباب منها إن جاز هذا الوصف، وأعرض عن الأشعار الطويلة التي اشتغل بها المؤلفون في السيرة ممن تقدمه.

٢ـ لا يذكر ابن حزم في الغالب مصادره في السيرة، وإن كانت تعرف من خلال المقارنة والمراجعة.

٣ـ ينقد ابن حزم النصوص أحياناً: فمن ذلك قوله في قصة

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٥٢.

(٢) ابن حزم ص ٢٠٧.

(٣) جوامع السيرة ص ١٠ ـ ١١، وابن حزم ص ١١١.

الإفك: «وقد روينا من طرقٍ صحاح أن سعد بن معاذ كانت له من ذلك مراجعة مع سعد بن عبادة، وهذا عندنا وهم، لأن سعد بن معاذ مات إثر فتح قريظة بلا شك، وفتح بني قريظة في آخر ذي القعدة من السنة الرابعة من الهجرة، وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة، بعد سنة وثمانية أشهرمن موت سعد، وكانت المقاولة بين الرجلين المذكورين بعد الرجوع من غزوة بني المصطلق بأزيد من خمسين ليلة، وذكر ابن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله وغيره أن المقاول لسعد بن عبادة إنما كان أسيد بن الحضير، وهذا هو الصحيح»[1].

٤ـ عند مقارنة كتاب الجوامع مع غيره من كتب السيرة نجد أنه قد تفوق عليها بالشمول لمباحث السيرة، فهو قد وضع فيه معجزات النبي ﷺ، وحجه وعمراته، وبعوثه وغزواته، وأمراءه، بشكل موجز، ثم أتبع ذلك بالسيرة الملخصة وهذه ميزة لهذا الكتاب بالرغم من صغر حجمه.

٥ـ قد استفاد ابن حزم في كتابه الجوامع من كتاب صديقه ومعاصره ابن عبد البر القرطبي «الدرر في اختصار المغازي والسير»، يقول الدكتور شوقي ضيف: «وبلغ من قيمة هذه السيرة وأهميتها في عصرها أن وضعها ابن حزم تلميذ ابن عبد البر علماً منصوباً أمام

---

(١) جوامع السيرة ص ٢٠٦.

بصره حين حاول أن يصنف سيرته النبوية التي سماها جوامع السيرة[1]. ويقول محققا الجوامع: «وقد أفاد ابن حزم في كتابه السيرة مما صنعه من قبله شيخه ومعاصره أبو عمر بن عبد البر مؤلف كتاب (الدرر في اختصار المغازي والسير)، ونحن لا نملك في هذا الكتاب صورة كاملة أو وافية تدلنا إلى أي مدى اعتمد عليه ابن حزم، ولكن النقول القليلة التي احتفظ بها ابن سيد الناس من كتاب أبي عمر المذكور تؤكد أن ابن حزم قد نقل عن شيخه نقولاً متفرقة في شيء قليل من التصرف»[2].

أقول: هذه بعض الأمور التي تلحظ عند مراجعة (كتاب الجوامع)، ومهما يكن فقد عدَّ الكتاب مصدراً من مصادر السيرة النبوية، يقول الدكتور فاروق حمادة: « كتاب موجز لطيف أشبه ما يكون بالخطوط العريضة للسيرة النبوية، وما يجب أن لا يغيب عن ذهن طالب العلم والعالم والباحث، وضعه بتسلسل ومنهج»[3].

قلت: بهذا يمكننا أن نعطي لمحة مركزة موجزة عن عناية ابن حزم بالسيرة النبوية، ودرسه لها، وهذا لا يعفي من مراجعة كتابه آنف الذكر، فإن المقام هنا مقام تعريف بشخصيته، ووصف عام لمظاهر

---

(١) الدرر ص ١٤.
(٢) جوامع السيرة ص ٨.
(٣) مصادر السيرة ص ٧٤.

نبوغ الرجل، ولا شك أن معرفته أكبر وأعظم من وصفنا القاصر له، والله المستعان.

٣ـ معرفته بالتاريخ العام:

نعني بالتاريخ العام: ما لم يكن متعلقاً بأمة من الأمم، أو عصر من العصور، أو بلد من البلاد، ولقد كان لابن حزم معرفة بهذا واهتمام، وهذا ما نحن بصدد تجليته للقارىء الكريم من خلال النقاط التالية:

أولاً ـ مراتب علم التاريخ عند ابن حزم:

يرى ابن حزم أن علم الأخبار ينقسم على مراتب هي:

١ ـ إما على الممالك.

٢ ـ أو على السنين.

٣ ـ وإما على البلاد.

٤ ـ وإما على الطبقات.

٥ ـ أو منثوراً[(١)].

ثانياً ـ تقويم التواريخ:

لابن حزم نظرة ثاقبة في تقويم تواريخ الأمم، وذلك حسب الأصحية، ولذا فالتواريخ عنده كما يلي:

---

(١) مراتب العلوم ص ٧٩.

١ـ أصح التواريخ: قال ابن حزم: «فأصح التواريخ عندنا تاريخ الملة الإسلامية، ومبدؤها وفتوحها، وأخبار خلفائها وملوكها، والمتزين عليهم، وعلمائهم، وسائر ما انتظم بذلك»[١].

٢ـ ما كان أكثره صحيحاً، وفي بعضه دخل: وهذا تاريخ بني إسرائيل، يقول ابن حزم: «وأما تاريخ بني إسرائيل، فأكثره صحيح، وفي بعضه دخل، وإنما يصح منه أخبارهم مذ صاروا بالشام إلى أن خرجوا عنها الخرجة الأخيرة، لا من قبل ذلك»[٢].

٣ـ ما كان صحيحاً إلى فترة معينة، وهذا مثل تاريخ الروم، يقول ابن حزم: «وأخبار الروم إنما تصح من عهد الإسكندر لا ما قبل ذلك»[٣].

٤ـ تاريخ الأمم التي لا يعرف لها تاريخ ولا علوم: وهذا كتاريخ سائر أمم الشمال، وأمم السودان، يقول ابن حزم: «وأخبار الترك والخزر، وسائر أمم الشمال، وأمم السودان، فلا علوم لهذه الطوائف ولا تواليف، ولا تواريخ»[٤].

٥ـ أمم لها تاريخ ولكن لم يبلغنا كما نريد: وهذا تاريخ الهند

---

(١) مراتب العلوم ص ٧٩.
(٢) مراتب العلوم ص ٧٩.
(٣) مراتب العلوم ص ٧٩.
(٤) مراتب العلوم ص ٧٩.

والصين: يقول ابن حزم: «ولم تبلغنا أخبار الهند والصين كما نريد، إلا أنهم أُمَّتا علم وضبط وتواليف وجمع»[1].

٦ـ تاريخ الأمم البائدة: وهذا مثل القبط واليمانيين والسريانيين والأشمانيين وعمون وموآب وسائر الأمم، قال أبو محمد بن حزم: «وأما الأمم الداثرة من القبط واليمانيين والسريانيين والأشمانيين وعمون وموآب وسائر الأمم، فقد بادت أخبارهم جملة، فلم يبق منها إلا تكاذيب وخرافات»[2].

٧ـ تاريخ الفرس: يقول ابن حزم: «وأما الفرس فلا يصح شيء من أخبارهم إلا ما كان من عهد دارا بن دارا فقط، وأصح أخبارهم ما كان من عهد أردشير بن بابك، فقط»[3]. ذلكم تقويم تواريخ الأمم عند ابن حزم، وهذا يدل على سعة اطلاعه على تاريخ الأمم، وعلى الدقة والمنهجية التي يتحلى بها رحمه الله تعالى.

ثالثاً ـ الأصناف الداخلة في التاريخ العام:

لابن حزم حضور في مجال التاريخ، وإن كان حيز هذا الحضور محدوداً كما تقدم، لكن عند النظر في هذا الحيز نجد أن مفردات عدة

---

(١) مراتب العلوم ص ٧٩.
(٢) مراتب العلوم ص ٧٩.
(٣) مراتب العلوم ص ٧٩.

تدخل في هذا الحيز، لتدلل على معرفة الرجل بالتواريخ، وسبره لغورها، وحسن جمعه لهذه المفردات، بما لعله يلقي في النفس أن الرجل قد أراد لأتباعه ملخصات تاريخية تحيط علماً بأمهات علم التاريخ بدلاً من تطويل الكلام فيه، ليتيح لهم الأخذ بحظ وافر من كل علم، ولذا فإن الناظر في هذه المفردات يجد أنها تضم بالإضافة إلى ما قدمنا الكلام عليه من النسب والسيرة؛ الأمور التالية:

١ـ **أخبار الفتوح الإسلامية بعد رسول الله ﷺ**: فقد ذكر في هذا أصحاب الفتوح من الخلفاء بعد رسول الله ﷺ، وهم الخلفاء الراشدون الأربعة، وما حصل في زمان كل واحدٍ منهم من الفتوح، ثم استوعب فتوح البلاد الإسلامية بعد عصر هؤلاء حتى زمانه هو، وقد تضمن هذا رسالة من رسائله (هي رسالة في جمل فتوح الإسلام)[1].

٢ـ أخبار الخلفاء:

ذكر في هذا أخبار الخلفاء، وقد تضمن هذا الذكر الأمور التالية:

١ـ أسماء الخلفاء: وقد تضمن هذا رسالة له بهذا الاسم[2].

---

(١) رسالة في جمل فتوح الإسلام ص ١٢٥ ـ ١٣٣، المجلد الثاني من رسائل ابن حزم.
(٢) رسالة في أسماء الخلفاء ص ١٣٧ ـ ١٥٥.

وذكر فيه أسماء الخلفاء، ومدة خلافة كل واحدٍ منهم، وما حصل في زمانه من الحوادث والفتوح باختصار، وقد ذكر في هذه الرسالة خمسة وأربعين خليفة.

٢ـ أسماء أمهات الخلفاء: وقد ضمَّن هذا رسالة باسم (رسالة في أمهات الخلفاء)[١]، ولم يتوسع في هذه الرسالة بل اقتصر على ذكر الأسماء فقط، وقد توقف أحياناً في معرفة أسماء بعض الأمهات، كقوله: «ولا أدري اسم أم الطائع»[٢].

٣ـ ألقاب الخلفاء: لقط ذكر في رسالته (نقط العروس) ألقاب الخلفاء، وقد ذكر فيه ما يزيد على أربعين لقباً[٣].

٤ـ ولاة العهد: فقد ذكر في رسالته السابقة مَنْ ولي العهد وتَسَمَّى به، أو لم يُسمَّ، ولم يتم له أمر، ومن قام يطلب الخلافة وتسمى بها، ولم يتم أمره، وقد سمي أو لم يُسمَّ[٤].

٥ـ من ولي الخلافة بعهد: وقد ذكر فيه جماعة[٥].

---

(١) رسالة في أمهات الخلفاء ص ١١٩ ـ ١٢٢.
(٢) رسالة في أمهات الخلفاء ص ١٢٩.
(٣) نقط العروس ص ٤٣ ـ ٥١.
(٤) نقط العروس ص ٥١.
(٥) نقط العروس ص ٥٤ ـ ٥٥.

٦ـ من ولي الخلافة بتشاور: وقد ذكر فيه جماعة من أهل المشرق، ومن أهل الأندلس[١].

٧ـ من ولي الخلافة مغالبة: وقد ذكر فيه جماعة[٢].

٨ـ من طلب الخلافة ولم يتم أمره، وتسمى بالخلافة من قريش، وأما الخوارج فشأنهم غير هذا، وقد ذكر فيه جماعة[٣].

٩ـ من ولي الخلافة في حياة أبيه: وقد ذكر فيه أربعة من الخلفاء[٤].

١٠ـ من ولي وأخوه أسن منه، وقد ذكر فيه جماعة[٥].

١١ـ أربعة أخوة ولوا الخلافة كلهم: وقد ذكر فيه بني عبد الملك بن مروان وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام[٦].

١٢ـ ثلاثة خلفاء أخوة: ذكر فيه جماعة[٧].

---

(١) نقط العروس ص ٥٥ ـ ٥٦.
(٢) نقط العروس ص ٥٥ ـ ٥٦.
(٣) نقط العروس ص ٥٦ ـ ٥٨.
(٤) نقط العروس ص ٥٨ ـ ٥٩.
(٥) نقط العروس ص ٥٩ ـ ٦٢.
(٦) نقط العروس ص ٥٩ ـ ٦٢ ـ ٦٣.
(٧) نقط العروس ص ٥٩ ـ ٦٢ ـ ٦٣.

١٣ـ أخوان خلفاء: وقد ذكر فيه جماعة[١].

١٤ـ من كان له لقبان من الخلفاء: وقد ذكر فيه رجلين فقط أحدهما عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر، وسليمان بن الحكم[٢].

١٥ـ أعرف الناس في الخلافة: وقد ذكر فيه جماعة[٣].

١٦ـ من ولي الخلافة شهوراً وأياماً ولم يتم السنة: وقد ذكر فيه جماعة[٤].

١٧ـ من طال عمره في الخلافة، فولي عشرين سنة فصاعداً: وقد ذكر فيه جماعة[٥].

١٨ـ المُعَرَّقات في الخلافة من النساء: وقد ذكر فيه عدة نسوة[٦].

١٩ـ امرأة ولدت خليفتين: وقد ذكر فيه خمسة نسوة[٧].

---

(١) نقط العروس ص ٥٩ ـ ٦٢ ـ ٦٣.
(٢) نقط العروس ص ٦٣ ـ ٦٤.
(٣) نقط العروس ص ٦٣ ـ ٦٤.
(٤) نقط العروس ص ٦٣ ـ ٦٤.
(٥) نقط العروس ص ٦٥.
(٦) نقط العروس ص ٦٥ ـ ٦٧.
(٧) نقط العروس ص ٦٥ ـ ٦٧.

٢٠ـ أم تزوجت بعد خلافة ابنها: وقد ذكر فيه أم معاوية بن يزيد[١].

٢١ـ من اتخذ من الخلفاء قاعدة جعلها دار ملك: وقد ذكر فيه جماعة[٢].

٢٢ـ من ذكر ذكراً فاحشاً من الخلفاء بشرب الخمر: وقد ذكر فيه جماعة[٣].

٢٣ـ ثلاثة ترشحوا للخلافة ماتوا في أربعين يوماً.

٢٤ـ قرعى الخلفاء: وقد ذكر فيه جماعة.

٢٥ـ ذوو الفتوح من الخلفاء.

إلى آخر ما ذكر في رسالته (نقط العروس) مما يتعلق بالخلفاء من أخبار عامة وخاصة.

٣ـ أخبار الأندلس ورجاله:

وقد ضمَّن هذا رسالة سميت بهذا الاسم، وقد ذكر فيها مآثر الأندلس، وما صنفه أهل الأندلس في علوم الإسلام المختلفة من فقه وحديث وتفسير ولغة وتاريخ وغيرها، مع ذكر من خرج من

(١) نقط العروس ص ٦٥ ـ ٦٧.
(٢) نقط العروس ص ٧٢ ـ ٧٣.
(٣) نقط العروس ص٧٢ ـ ٧٣.

الأندلس من أهل العلم في تلك العلوم[1].

٤ـ أخبار الأمم السابقة:

فقد ذكر ابن حزم شيئاً من تواريخ الأمم السابقة، مثل ذكر أوقات الحكام من بني إسرائيل[2]، وفصل في ديانة العرب في الجاهلية، وهو ملحق بكتاب الجمهرة[3].

٥ـ نوادر وطرائف وغرائب:

فقد ذكر ابن حزم جملة من الأخبار التاريخية الغريبة والطريفة، وذلك أمثال:

١ـ أخت خليفتين تزوجت مولى.

٢ـ ذوو السعد من الخلفاء.

٣ـ ذوو العور من الخلفاء.

٤ـ خليفة أبخر.

٥ـ من لم يكن بيده من الخلافة إلا الاسم.

٦ـ أكثر الخلفاء ولداً.

---

(١) رسالة في فضل الأندلس ص ١٧١ ـ ١٨٨.
(٢) الفصل ١/ ١٨٧ ـ ١٩٦، ورسائل ابن حزم ٢/ ٢٠٩ ـ ٢١٨.
(٣) ابن حزم ٢/ ٩٦.

٧ـ من قتل أباه من الخلفاء المتغلبين.

٨ـ امرأة قعدت للمظالم. إلى غير ذلك مما ذكره في رسالته (نقط العروس).

رابعاًـ مصادر ابن حزم التاريخية:

استمد ابن حزم مادته التاريخية من مصادر عدة، وهذه المصادر نذكرها كما يلي:

١ـ مصادر نص على مؤلفيها: كابن حيان[١]، يقول أبو عبد الرحمن بن عقيل: «وأظن أنه كان ينقل عن المقتبس، وأتوقع أن ابن حزم لم يطلع على المتين لابن حيان، لأنه ألفه بعد وفاة أبي محمد، بدليل أن أبا محمد لم يذكره في كتابه عن فضل الأندلس، وبدليل أن ابن حيان ذكر وفاة أبي محمد في المتين»[٢]. ومن مصادره المسماة: كتب ابن كامل الشجري تلميذ الطبري[٣].

٢ـ أحداث عايشها وعاينها[٤].

---

(١) ابن حزم ص ١٢٠ ـ ١٢١.
(٢) ابن حزم ص ١٢٠ ـ ١٢١.
(٣) ابن حزم ص ١٢٠ ـ ١٢١.
(٤) ابن حزم ص ١٢٠ ـ ١٢١.

٣ـ أحداث يرويها بالإسناد[١] .

٤ـ مصادر لم ينص على العزو إليها، وهذا أمر غالب على مروياته التاريخية، يقول ابن عقيل: وأغلب الأقوال التي ينقلها أبو محمد لا يذكر مصدرها، وإنما يقول: ورأيت في بعض الأخبار، أو ذكر في بعض الأخبار، أو ما جرى هذا المجرى[٢] .

وبعد: فهذه مصادر ابن حزم في المعلومات التاريخية، وتدل دلالة واضحة على سعة اطلاع الرجل، وبهذا نصل إلى نهاية البحث في ابن حزم مؤرخاً بما لعله يقرب إلى الناس حب معرفة معارف ابن حزم، ويزيدهم رغبة في الاطلاع على تراثه الثر الخير، لننتقل بعد ذلك إلى دراسة جانب آخر من جوانب نبوغ ابن حزم بعون الله تعالى.

* * *

---

(١) ابن حزم ص ١٢٠ ـ ١٢١.
(٢) ابن حزم ص ١٢٠ ـ ١٢١.

٥ـ ابن حزم الشاعر

لابن حزم مشاركة في قول الشعر، وقد وصفه مترجموه بذلك، فمن ذلك مقولة صاعد: «ولأبي محمد بن حزم بعد هذا نصيب وافر في علم النحو واللغة، وقسم صالح من قرض الشعر»[١].

وقال ابن خاقان: «وقد أثبت من شعره ما يعلم أنه أوجد، وما مثله فيه أحد»[٢].

هذا وصف بعض مترجميه له، ولا بد لمن يترجم له من تعريف بنبوغه في الشعر، وبروزه فيه، وهذا ما نعرض له في هذا المقام من خلال الأمور التالية:

أولاً ـ أغراض الشعر عند ابن حزم:

شعر ابن حزم متعدد الأغراض. يصفه أحدهم بقوله: «ولم يقتصر على أغراض معينة، ولكنه طرق أبواباً كثيرة، فجاء شعره

---

(١) طبقات الأمم ص ١٠١ ـ ١٠٢.
(٢) مطمح الأنفس ص ٦٣.

متعدد الأغراض، ومتنوع المعاني»[1]. ومن هنا فقد طرق في شعره الأغراض التالية:

١ـ شعر الغزل والحب:

فقد عاش ابن حزم بدء حياته في بيئة فيها نساء، فوقع فيما وقع فيه في تلك البيئات، يقول الدكتور عبد الكريم خليفة: «ذاق ابن حزم مرارة الحب في شبابه، فقد أحب حباً صادقاً عفيفاً، ثم أصيب بحبيبته (نُعم) فحزن عليها أي حزن، وانطوى على نفسه لا ينساها مدى الدهر على حد تعبيره»[2]. هذا وصف تجربة الرجل، وقد وقعت منه أشعار في هذا الغرض، نذكر منها ما يلي:

قال في الطوق[3]:

وأستلذُّ بلائي فيك يا أملي	ولست عنك مدى الأيام أنصرفُ
إن قيل لي تتسلى عن مودته	فما جوابي إلا اللام والألف

ويقول أيضاً[4]:

وإذا قمت عنك لم أمش إلا	مشيَ عانٍ يقادُ نحو الفناء
في مجيئي إليك أحتثُّ كالبدر	إذا كان قاطعاً للسماء

(١) ابن حزم حياته وأدبه ص ٢٢٨.
(٢) ابن حزم حياته وأدبه ص ٢٣٤.
(٣) طوق الحمامة ص ١٠١.
(٤) طوق الحمامة ص ١٠٤.

وقيامي إذا قمت كالأنجم العا ليـة الثـابتـات في الإبطـاء

٢ـ الشعر الرمزي الصوفي:

يقول الدكتور عبد الكريم خليفة: «وإذا ما تتبعنا ابن حزم في أشعاره في الحب وجدناه يبلغ حد الرمزية الصوفية، وهو الظاهري المتشدد في مذهبه»[١]. وكأن ابن حزم كان يهرب إلى هذا الجانب الروحاني الغيبي كلما ضاقت نفسه ذرعاً بالتشدد في الأخذ بالظاهر[٢].

ومن أمثلة هذا الشعر الرمزي الصوفي، قال ابن حزم[٣]:

تـرى كـل صَـدٍّ بـه قـاعـاً فكيـف تحُـدُّ اختـلاف المعـاني

فيـا أيهـا الجسـم لاذا جهـات ويـا عـرضـاً ثـابتـاً غير فـان

نقضـت علينـا وجـوه الكـلام فمـا هـو مـذ لُحـتَ بـالمستبـانِ

ويقول أيضاً[٤]:

أمن عالم الأملاك أنت أم إنسي أبِنْ لي فقد أزرى بتمييزي العيُّ

أرى هيئـة إنسيـة غير أنـه إذا أعمل التفكير فالجرم علويُّ

---

(١) ابن حزم حياته وأدبه ص ٢٣٦.
(٢) تاريخ الأدب الأندلسي ص ٢٦٣.
(٣) الطوق ص ١٠٠.
(٤) الطوق ص ١٠٠.

تبارك من سَوَّى مذاهب خلقه على أنَّك النور الأنيق الطبيعيُّ
ولا شكَّ عندي أنك الروح ساقه إلينا مثال في النفوس اتصاليُّ
عدمنا دليلاً في حدوثك شاهداً نعيش عليه غير أنك مرئيُّ
ولولا وقوع العين في الكون لم نقل سوى أنك العقل الرفيع الحقيقيُّ

٣ـ الشعر الذاتي:

من أغراض الشعر عنده الشعر الذاتي الذي يقول فيه أحدهم: «لعل أحفل شعر ابن حزم وأخصبه عناصر، القصائد التي يفخر فيها بنفسه، ويدافع عن غاياته، ويصف تواطؤ الخصوم على النيل منه، والحط من قدره»[١].

من أمثلة هذا الغرض:

قال ابن حزم في قصيدة وجهها إلى ابن عمه أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم[٢]:

كفاني ذكر الناس لي ومآثري ومالك فيهم يا ابن عمي ذاكرُ
عدويّ وأشياعي كثير كذاك من غدا وهو نفَّاع المساعي وضائر
ومالك فيهم من عدوٍّ فينتسى ومالك فيهم من صديق يكاثر
وقولي مسموع له ومصدق وقولك منبت من الريح طائر

(١) ابن حزم حياته وأدبه ص ٢٣٩.
(٢) الذخيرة ص ١٣٨.

وإني وإن آذيتنـــي وعققتنـــي　لمحتمل ما جاءني منك صابر

ويقول أيضاً في قصيدة خاطب بها قاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن أحمد بن بشير[1]:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة　ولكن عيبي أن مطلعي الغربُ
ولو أنني من جانب الشرق طالع　لجدَّ عليَّ ما ضاع من ذكري النهبُ
ولي نحو أكتاف العراق صبابة　ولا غرو أن يستوحش الكلف الصبُّ
فـإن ينـزل الـرحمـن رحلي بينهـم　فحينئذ يبدو التأسف والكربُ
فكم قائل أغفلته وهو حاضر　وأعلم ما عنه تجيء به الكتبُ
هنـالـك يـدري أن للبعـد قصـة　وأنـه كسـاد العلـم آفتـه القـربُ

وعن وصف شعره الذاتي يقول الدكتور خليفة: «وشعره الذي يتحدث فيه عن ذاته كثير، وجميعه ينبض بالحياة، ويعبر عن إحساسات مرهفة، ومشاعر صادقة»[2].

٤ـ شعر الرثاء والتوجع:

ومن أغراض شعره هذا النوع من الشعر. وقد وصف هذا الغرض الدكتور خليفة فقال: «لم يصلنا كثير من شعر ابن حزم في هذا

---

(١) جذوة المقبس.
(٢) ابن حزم حياته وأدبه ص ٢٤٣.

الغرض، ولكن المقطوعات التي بين أيدينا تنم عن أصالة في إحساساته، وصدق تأثره»[1].

ومن أمثلة هذا الغرض ما يلي: يقول أبو محمد[2]:

وددت بأنَّ ظهر الأرض بطن ... وأنَّ البطن منها صار ظهراً
وأني مت قبل ورود خطبٍ ... أتى فأثار في الأكباد جمراً
وأن دمي لمن قد بان غسلٌ ... وأنَّ ضلوع صدري كن قبراً

ويقول أيضاً[3]:

الآن إذ حلَّ الفراق وجدت لي ... بخفيّ حبٍّ كنت لتبدي نجله
قد زدتني في حَسْرَتي أضعافها ... ويحي فهلا كان هذا قبله

٥ـ شعر الحكمة والزهد:

ومن أغراض شعر ابن حزم شعر الحكمة والزهد، ومن أمثلة هذا الغرض ما يلي[4]:

إنما العقل أساس ... فوقه الأخلاق سورُ
فتحلَّ العقل بالعلـ ... ـم وإلا فهو بورُ

---

(١) ابن حزم ص ٢٤٤.
(٢) الطوق ص ٢٢٠.
(٣) الطوق ص ٢٢٢ـ٢٢٣.
(٤) مداواة النفوس ص ٣٨٠.

ويقول أيضاً[1]:

زمـام أصـول جميـع الفضـائـل عــدل وفهــم وجــود وبــاسُ
فعــن هــذه ركبــت غيرهــا فمن حازها فهو في الناس راسُ
كـذا الـراس فيـه الأمـور التـي بإحساسها يكشف الالتباس

وبعد: فهذه أغراض شعر ابن حزم، وقد مثلنا لكل غرض منها بمثالين.

ثانياً ـ خصائص شعره:

تقدم بنا وصف أبي محمد وشعره، ونضيف هنا مقولة الحميدي: «وكان له في الآداب والشعر نفس واسع، وباع طويل، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه، وشعره كثير، وقد جمعناه على حروف المعجم»[2]، وحول ما بقي من هذا الشعر يقول الدكتور خليفة: «ولم يصلنا من شعر ابن حزم الكثير، ومن ديوانه الذي جمعه تلميذه الحميدي على حروف المعجم وصلتنا قطعة صغيرة منه، وبعض متفرقات منه في شرح الشريشي على مقامات الحريري ، وفي الغيث المنسجم للصفدي، وفي طبقات الشافعية للسبكي، وكذلك في الكتب التي أوردت له ترجمة مثل الجذوة والصلة والمغرب، ويعد

(١) مداواة النفوس ص ٣٨٠.
(٢) الجذوة ص ٢٩١.

كتابه طوق الحمامة المصدر الرئيسي لشعره الذي قاله قبل الثلاثين من عمره»[1].

ومهما يكن فقد اتسم شعره بالخصائص التالية:

١ـ التعمق في المعاني وتوليدها بعضها من بعض أكثر من العناية بالألفاظ.

٢ـ كثرة الحكم في شعره.

٣ـ الروح الجدلية في شعره.

٤ـ كثرة المصطلحات في شعره، من مصطلحات فقهية وفلسفية وغيرها[2].

هذا وصف عام لخصائص شعره بما يناسب هذا الكتاب، وبالله التوفيق.

ثالثاً ـ رأيه في الشعر:

ابن حزم شاعر مجيد، تعددت أغراضه الشعرية، حتى استحق وصف تلميذه الحميدي لشعره، ورغم هذا فقد كان له رأي في الشعر، وهذا ما نفصله كما يلي:

---

(١) ابن حزم حياته ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٢) ابن حزم حياته ص ٢٥٩ ـ ٢٦١ بتلخيص.

١ـ الشعر الذي يحرص على روايته:

يحدد ابن حزم الشعر الذي يُروى بأنه هو الشعر الذي تكثر فيه الحكم والخير، يقول أبو محمد: «وإن كان مع ما ذكرنا رواية شيء من الشعر فلا يكن إلا من الأشعار التي فيها الحكم والخير، كشعر حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم، وكشعر صالح بن عبد القدوس، ونحو ذلك، فإنها نعم العون على تنبيه النفس»[١].

وحول وصف هذا الجانب من النظرة للشعر يقول الدكتور خليفة: «وتلاحظ أنه بعد انقطاعه للعلم والتأليف، كان ينظر إلى الشعر من حيث هو ميدان للنزعة الروحية»[٢].

٢ـ الأصناف التي تجتنب من الشعر:

حدد ابن حزم أربعة أصناف من الشعر يجب اجتنابها وهي:

١ـ الأغزال والرقيق: فإنها تحث على الصبابة، وتدعو إلى الفتنة، وتحض على الفتوة، وتصرف النفس إلى الخلاعة واللذات، وتسهل الانهماك في الشطارة والعشق، وتنهى عن الحقائق، حتى ربما أدى ذلك إلى الهلاك والفساد في الدين، وتبذير المال في الوجوه الذميمة،

---

(١) مراتب العلوم ص ٦٧.

(٢) ابن حزم ص ٢٦٢.

وإخلاق العِرض، وإذهاب المروءة، وتضييع الواجبات[1].

٢ـ الأشعار المقولة في التصعلك وذكر الحروب: كشعر عنترة، وعروة بن الورد، وسعد بن ناشب، وما هنالك، فإن هذه أشعار تثير النفوس، وتهيج الطبيعة، وتسهل على المرء موارد التلف في غير حق، وربما أدته إلى هلاك نفسه في غير حق، وإلى خسارة الآخرة، مع إثارة الفتن، وتهوين الجنايات والأحوال الشنيعة، والشره إلى الظلم وسفك الدماء[2].

٣ـ أشعار التغرب، وصفات المفاوز والبيد المهامه: فإنها تسهل التحول والتغرب، وتُنشِبُ المرء فيما ربما صعب عليه التخلص منه بلا معنى[3].

٤ـ الهجاء: فإن هذا الضرب أفسد الضروب لطالبه، فإنه يهون على المرء الكون في حالة أهل السفه من كناسي الحشوش، والمعاناة لصنعه الزمير المتكسبين بالسفاهة والنذالة والخساسة وتمزيق الأعراض، وذكر العورات، وانتهاك حرم الآباء والأمهات، وفي هذا حلول الدمار في الدنيا والآخرة[4].

---

(١) مراتب العلوم ص ٦٧ ـ ٦٨.
(٢) مراتب العلوم ص ٦٨.
(٣) مراتب العلوم ص ٦٨.
(٤) مراتب العلوم ص ٦٨.

٣ـ الشعر المباح المكروه:

ذكر ابن حزم صنفين من الشعر لا ينهى عنهما نهياً تاماً، ولا يحض عليهما، بل هما عنده من المباح المكروه، وهما: المدح والرثاء[١]. يقول ابن حزم: «فأما إباحتهما فلأن فيهما ذكر فضائل الموت والممدوح، وهذا يقتضي للراوي لذلك الشعر الرغبة في مثل ذلك الحال، وأما كراهتنا لهما، فإن أكثر ما في هذين النوعين الكذب، ولا خير في الكذب»[٢].

وأفاد عن رأيه في الإكثار من رواية الشعر فيقول: «وأيضاً فإن الإكثار من رواية الشعر هو كسب غير محمود، لأنه من طريق الباطل، والفضول، لا من طريق الحق والفضائل»[٣].

وحتى يدفع شبهة الجهل بالشعر عن نفسه، يقول: ولا يظن ظانٌّ أن هذا علم جهلناه فذممناه، فقد علم مَن داخلنا أو بلغه أمرنا كيف توسعنا في رواية الأشعار، وكيف تمكنا من الإشراف على معانيها، وكيف وقوفنا على أفانين الشعر ومحاسنه، ومعانيه وأقسامه، وكيف قوتنا على صناعته، وكيف تأتى مقصوده ومقطوعه لنا، وكيف سهولة

---

(١) مراتب العلوم ص ٦٨.
(٢) مراتب العلوم ص ٦٨.
(٣) مراتب العلوم ص ٦٨ـ٦٩.

نظمه علينا في الإطالة فيه والتقصير، ولكن الحق أولى بما قيل»[1].

وبعد: فهذه نبذة استطعنا أن نتعرف فيها على جانب آخر من جوانب نبوغ ابن حزم، بما لعله يحببه إلى القارىء، ويدفع إلى مزيد اطلاع على تراث الرجل، وننتقل بعد هذا إلى جانب آخر من جوانب نبوغه بعون الله تعالى.

* * *

(١) مراتب العلوم ص ٦٩.

٦ـ ابن حزم المربي

ومن جوانب نبوغ ابن حزم اللفتات التربوية التي حفلت بها بعض كتبه ورسائله، ولا بد لمن يعرف بهذا العلم من تجلية هذا الأمر، وهذا ما نعرض له من خلال النقاط التالية:

١ـ معنى الصلاح عند الرجال والنساء:

يقول ابن حزم: «وإني رأيت الناس يغلطون في معنى هذه الكلمة، أعني (الصلاح) غلطا بعيداً، والصحيح في حقيقة تفسيرها أن الصالحة من النساء هي التي إذا ضبطت انضبطت، وإن قطعت عنها الذرائع أمسكت، والفاسدة هي التي إذا ضبطت لم تنضبط، وإذا جعل بينها وبين الأسباب التي تسهل الفواحش تحيلت في أن تتوصل إليها بضروب من الحيل، والصالح من الرجال من لا يداخل أهل الفسوق، ولا يتعرض إلى المناظر الجالبة للأهواء، ولايرفع طرفه إلى الصور البديعة التركيب، والفاسق من يعاشر أهل النقص، وينشر بصره إلى الوجوه البديعة الصنعة، ويتصدى للمشاهد المؤذية، ويحب الخلوات المهلكات، والصالحان من الرجال والنساء كالنار الكامنة في

الرماد، لا تحرق من جاورها إلا بأن تحرك، والفاسقان كالنار المشتعلة تحرق كل شيء»[1].

أقول: هذه نظرة تربوية لمسألة الصلاح، والقابلية للمعصية، تدل على عِظَمِ فقه الرجل للنصوص، وعلى خبرته بالنفس الإنسانية.

٢ـ رأيه في لذات الناس وتفاضلها:

يقول أبو محمد: «لذة العاقل بتمييزه، ولذة العالم بعلمه، ولذة الحكيم بحكمته، ولذة المجتهد لله عز وجل باجتهاده أعظم من لذة الآكل بأكله، والشارب بشربه، والواطىء بوطئه، والكاسب بكسبه، واللاعب بلعبه، والآمر بأمره. وبرهان ذلك أن الحكيم والعالم والعاقل والعامل ومن ذكرنا واجدون لسائر اللذات التي سمينا كما يجده المنهمك فيها، ويحسونها كما يحسها المقبل عليها، وقد تركوها وأعرضوا عنها، وآثروا طلب الفضائل عليها، وإنما يحكم في الشيئين من عرفهما لا من عرف أحدهما، ولم يعرف الآخر»[2].

أقول: يقارن ابن حزم بين نوعين من اللذات، اللذات المعنوية: كالعلم والعقل والحكمة والطاعة، وهي فضائل، يخص الله بها أقواماً دون غيرهم، كرماً منه لهم، ولذات مادية: كالأكل والشرب والوطء

---

(١) الطوق ص ٢٧٠ـ٢٧١.

(٢) مداواة النفوس ص ٣٣٥.

والكسب، وهي مشتركة بين الناس، لكن أصحاب الفضائل لسعيهم خلف فضائلهم يعرضون عنها ويتركونها زهداً فيها مقارنة مع ما يطلبون.

٣ـ طرد الهم هو الشيء المشترك بين الناس:

يقول أبو محمد: «تطلبت غرضاً يستوي الناس كلهم في استحسانه، وفي طلبه، فلم أجده إلا واحداً: وهو طرد الهم»[١]. ويقول أيضاً: «فطرد الهم مذهب قد اتفقت الأمم كلها مذ خلق الله تعالى العالم إلى أن يتناهى عالم الابتداء، ويعقبه عالم الحساب على أن لا يعتمدوا بسعيهم شيئاً سواه، وكل غرض غيره»[٢]، وعن طريقة طرد الهم يقول: «فلم أجدها إلا التوجه إلى الله عز وجلَّ بالعمل للآخرة»[٣].

أقول: «يجيل ابن حزم نظره في الناس فيجد أنه لا يشغلهم شيء سوى إزالة الهم، كافرهم ومسلمهم، غنيهم وفقيرهم، صغيرهم وكبيرهم، حاكمهم ومحكومهم، وهكذا، ولا يجد لهذا الهم إلا دواء واحداً هو التوجه إلى الله عز وجلَّ بالعمل للآخرة.

---

(١) مداواة النفوس ص ٣٣٦.
(٢) مداواة النفوس ص ٣٣٦.
(٣) مداواة النفوس ص ٣٣٧.

٤ـ أشباه العاملين:

يشبه ابن حزم مجموعة من العاملين فيقول: طالب الأجر في الآخرة متشبه بالملائكة، وطالب الشر متشبه بالشياطين، وطالب الصوت والغلبة متشبه بالسباع، وطالب اللذات متشبه بالبهائم، وطالب المال لِعَيْنِ المال لا لينفقه في الواجبات والنوافل المحمودة أسقط وأرذل من أن يكون له في شيء من الحيوان شبه، ولكنه يشبه الغُدْران التي في الكهوف في المواقع الوعرة لا ينتفع بها شيء من الحيوان إلا ما قلَّ من الطائر، ثم تجفف الشمس والريح ما بقي منها، كذلك المال الذي لا ينفق في معروف»[(١)].

قلت: حري بكل عاقل أن يقرأ كلام أبي محمد هذا ليعرف شبه نفسه، عله يعتبر، ولا ينخدع بملذاته في الدنيا.

٥ـ رأي ابن حزم في مجالسة الناس:

يقول أبو محمد بن حزم: «من جالس الناس لم يعدم همّاً يؤلم نفسه، وإثماً يندم عليه في معاده، وغيظاً ينضج كيده، وذُلاً ينكس همته، فما الظن بعد بمن خالطهم وداخلهم؟

والعز والراحة والسرور والسلامة في الانفراد عنهم، ولكن

---

(١) مداواة النفوس ص ٣٤٠.

اجعلهم كالنار تدفأ بها ولا تخالطها»[1].

قلت: هذا وصف أبي محمد لمضار المخالطة للناس، ولكن هذا ليس على إطلاقه، والنبي ﷺ يقول: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير وأحب إلى الله من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»[2]، وباقي كلام الرجل كلام خبير بالناس، عارف بأدوائهم.

٦ـ اعترافات للمربي:

يعترف ابن حزم بوجود عيوب عنده، وقد أعانه الله عز وجل عليها، فشفي منها، يقول ابن حزم: «كانت فيّ عيوب، فلم أزل بالرياضة، واطلاعي على ما قالت الأنبياء صلوات الله عليهم، والأفاضل من الحكماء المتأخرين والمتقدمين في الأخلاق، وفي آداب النفس، أعاني مداواتها، حتى أعان الله عزَّ وجلَّ على أكثر ذلك بتوفيقه ومنّه، وتمام العدل، ورياضة النفس، والتصرف بأزمَّة الحقائق هو الإقرار بها، ليتعظ بذلك متعظ يوماً إن شاء الله»[3].

ثم يعدد هذه العيوب وطريقة علاجه لها:

---

(١) مداواة النفوس ص ٣٤٨.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم ٣٨٨، والترمذي برقم ٢٥٠٧، وابن ماجة برقم ٤٠٣٢.

(٣) مداواة النفوس ص ٣٥٣ـ٣٥٤.

آـ فمنها كلف في الرضاء، وإفراط في الغضب: فلم أزل أداوي ذلك حتى وقفت عند ترك إظهار الغضب جملة بالكلام والعقل والتخبط، وامتنعت مما لا يحل من الانتصار، وتحملت من ذلك ثقلاً شديداً، وصبرت على مضضٍ مؤلم كان ربما أمرضني، وأعجزني ذلك في الرضا، وكأني سامحت نفسي في ذلك، لأنها تمثلت أن ترك ذلك لؤم.

ب ـ ومنها دعابة غالبة: فالذي قدرت عليه فيها إمساكي عما يغضب الممازح، وسامحتُ نفسي فيها إذ رأيت تركها من الانغلاق، ومضاهياً للكبر.

ج ـ ومنها عجب شديد: فناظر عقلي نفسي بما يعرفه من عيوبها حتى ذهب كله، ولم يبق له والحمد لله أثر، بل كلفت نفسي احتقار قدرها جملة، واستعمال التواضع.

د ـ ومنها حركات كانت تولدها غرارة الصبا، وضعف الأعضاء: فقسرت نفسي على تركها فذهبت.

هـ ـ ومنها محبة في بعد الصيت والغلبة: فالذي وقفت عليه من معاناة هذا الداء الإمساك فيه عما لا يحل في الديانة، والله المستعان على الباقي، مع أن ظهور النفس الغضبية إذا كانت منقادة للناطقة فضل وخلق محمود.

و ـ ومنها إفراط في الأنفة: بَغَّضت إلي إنكاح الحُرَم جملة بكل

وجه، وصعبت ذلك في طبيعتي، وكأني توقفت عن مغالبة هذا الإفراط الذي أعرف قبحه لعوارض اعترضت عليَّ، و الله المستعان.

ز ـ ومنها عيبان: قد سترهما الله تعالى، وأعان على مقاومتهما، وأعان بلطفه عليهما، فذهب أحدهما البتة، و لله الحمد، وكأن السعادة كانت موكلة بي، فإذا لاح منه طالع قصدت طمسه، وطاولني الثاني منهما، فكان إذا ثارت منه مدوده نبضت عروقه، فيكاد يظهر، ثم يسر الله تعالى قدعه بضروبٍ من لطفه حتى أخلد.

ح ـ ومنها حقد مفرطٌ، قدرت بعون الله تعالى على طيّه وستره، وغلبته على إظهار جميع نتائجه. أما قطعه البتة فلم أقدر عليه، وأعجزني منه أن أصادق من عاداني عداوة صحيحة أبداً[1].

أقول: هذا اعتراف الرجل، وهو ينم عن نفس صافيه لا تأنف الاعتراف بالخطأ والقصور، وقد استعان بالله سبحانه وتعالى على هذه العيوب، فأعانه، وجمع من نفسه إرادة قوية صلبة حتى تخلص من هذه العثرات، ثم ذكرها ليتعظ بها من شاء الاتعاظ، فيجمع حسن استعانة ربه، وصدق عزيمة نفسه، حتى يفارق ذنب نفسه وقصورها. وهذا معلم مهم من معالم التربية، وهو واقعية المربي، الذي يعترف بما يقع فيه من زلل وخطأ، كيف لا وهو بشر،

---

(١) مداواة النفوس ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥

ولا يكابر، ولا يبقى مصرّاً على ذنبه، بل يعمل على استنقاذ نفسه منه، ثم يعين غيره على نزوات نفوسهم بإرشادهم إلى كيفية انتصار الإرادة القوية على المعصية المستعصية في النفس، ولذا فحري بكل مربٍّ أن يقرأ كلام أبي محمد هذا، ويعرضه على نفسه، ويعمل بمقتضاه لإصلاح نفسه أولاً، ثم تربية أبنائه المتربين ثانياً، ثم نقل هذه الطريقة إلى كل شاكٍ من ذنوبه لينتصر عليها، وإلى كل صاحب عزيمة ضعيفة ليشحذ همته وعزيمته، ليصح حال الناس، والله المستعان.

وبعد: فهذه شذرات في التربية لأبي محمد رحمه الله تعالى، أردنا بها التنبيه على وجه نبوغه في هذا المجال، وهي بلا شك لا تغني عن معاودة النظر في كتابه «مداواة النفوس»، ولكن كتابنا هذا كتاب ترجمة، وعلَّ الله عزَّ وجلّ أن يعين على دراسة ابن حزم مربياً في قادمات الأيام بعون الله تعالى.

* * *

٧ـ ابن حزم عالم الأديان والفِرَق

ومن جوانب نبوغ الإمام أبي محمد بن حزم رحمه الله علمه بالأديان والفرق، وكتابته فيها، ومناقشته لها، ولا بد لدارس شخصية هذا الرجل من تعريف بهذا المجال، وهذا ما نذكره عبر النقاط التالية بعون الله تعالى:

١ـ وصف معرفته بالأديان والفرق:

وُصِفَ ابن حزم بالمعرفة للأديان والفرق، ولا بد هنا من نقل نصوصٍ لأهل العلم في الشهادة له بالتبريز في هذا المجال، وهذه شذرة من شهاداتهم في هذا المجال:

١ـ **قال صاحب الذخيرة**: «ولهذا الشيخ أبي محمد مع يهود لعنهم الله، ومع غيرهم من أولي المذاهب المرفوضة من أهل الإسلام مجالس محفوظة، وأخبار مكتوبة، وله مصنفات في ذلك معروفة، من أشهرها في علل الجدل: الفصل بين أهل الآراء والنحل»[١].

٢ـ **وقال الذهبي**: «وكان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن،

---

(١) الذخيرة ١/١٤٧.

وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل»[1].

٢ـ مصنفاته في هذا الميدان:

صنف ابن حزم في موضوع الأديان والفرق الكتب التالية:

١ـ (الفصل في الملل والأهواء والنحل): وهو مطبوع مشهور.

٢ـ (إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل، وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل): قال عنه ابن خلكان: «وهذا معنى لم يسبق إليه»[2].

٣ـ (الرد على ابن النغريلة): وهو مطبوع مشهور.

٤ـ (الرد على أناجيل النصارى)[3]: وهو مفقود كما ذكر العلامة أبو عبد الرحمن بن عقيل في بحثه عن مؤلفات ابن حزم المفقودة[4]

٥ـ (الفضائح): وهذا من كتبه المفقودة[5].

فهذه كتب أبي محمد في موضوع الأديان والفرق كما ذكرت الكتب التي ترجمت له. ولله الحمد.

---

(١) العبر ٣/ ٢٢٩.
(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٢٦.
(٣) انظر السير ١٨/ ١٩٧.
(٤) مجلة الفيصل ص ٦٠ العدد رقم ٢٦ السنة ١٣٩٩ هـ.
(٥) مقدمة رسائل ابن حزم ١/ ١١ نقلاً عن دراسة ابن عقيل.

٣ـ تعريف بكتابه الفِصَل:

من أهم كتب ابن حزم كتاب الفصل في الملل والنحل، ولا بد لمن يبحث في ترجمة الرجل، ويرشد إلى أوجه نبوغه من تعريف بهذا الكتاب وهذا ما نفعله كما يلي:

(١) ـ وصف الكتاب من مقدمة مؤلفه:

قال ابن حزم: «أما بعد؛ فإن كثيراً من الناس كتبوا في افتراق الناس في دياناتهم ومقالاتهم كتباً كثيرة جداً، فبعض أطال وأسهب، وأكثر وهجر، واستعمل الأغاليط والشغب، فكان ذلك شاغلاً عن الفهم، قاطعاً دون العلم، وبعض حذف وقصر، وقلَّل واختصر، وأضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات، فكان في ذلك غير منصف لنفسه في أن يرضى لها بالغبن في الإبانة، وظالماً لخصمه في أن لم يوفه حق اعتراضه، وباخساً حق من قرأ كتابه إذا لم يغنه عن غيره، وكلهم إلا تحلة القسم، عقد كلامه تعقيداً يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم، وحلق على المعاني من بعد حتى صار يُنسي آخر كلامه أوله، وأكثر هذا فهم ستائر دون فساد معانيهم، فكان هذا منهم غير محمودٍ في عاجله وآجله، قال أبو محمد رضي الله عنه: فجمعنا كتابنا هذا مع استخارتنا لله عزَّ وجلّ في جمعه، وقصدنا به قصد إيراد البراهين المنتخبة عن المقدمات الحسية، أو الراجعة إلى

الحس من قرب أو بعد على حسب قيام البراهين التي لا تخون أصلاً مخرجها إلى ما أخرجت له، وألا يصح إلا ما صححت البراهين المذكورة فقط، إذ ليس الحق إلا ذلك، وبالغنا في بيان اللفظ، وترك التعقيد»[1]. ويقول أيضاً: «رؤوس الفرق المخالفة لدين الإسلام ست، ثم تتفرق كل فرقة من هذه الفرق الست على فرق، وسأذكر جماهيرها إن شاء الله عزَّ وجلّ، فالفرق الست التي ذكرناها على مراتبها في البعيد عنا، أولها مبطلو الحقائق، وهم الذين يسميهم المتكلمون السوفسطائية، ثم القائلون بإثبات الحقائق إلا أنهم قالوا إن العالم لم يزل، وأنه لا محدث له ولا مدبر، ثم القائلون بإثبات الحقائق، وأنَّ العالم لم يزل، وأنَّ له مدبراً لم يزل، ثم القائلون بإثبات الحقائق فبعضهم قال: إنَّ العالم لم يزل، وبعضهم قال: هو محدث، واتفقوا على أنَّ له مدبرين لم يزالوا وأنهم أكثر من واحد، واختلفوا في عددهم، ثم القائلين بإثبات الحقائق وأن العالم محدث، وأنَّ له خالقاً واحداً لم يزل، وأبطلوا النبوات كلها، ثم القائلون بإثبات الحقائق وأن العالم محدث، وأنَّ له خالقاً واحداً لم يزل، وأثبتوا النبوات إلا أنهم خالفوا في بعضها، فأقروا ببعض الأنبياء عليهم السلام، وأنكروا بعضهم»[2].

---

(١) الفصل ١/ ٩.

(٢) الفصل ١/ ٩-١٠.

ويقول أيضاً: «وقد تحدث في خلال هذه الأقوال آراء وهي منتجة من هذه الرؤوس مركبة منها، فمنها ما قد قالت به طوائف من الناس مثل ما ذهبت إليه فرق من الأمم من القول بتناسخ الأرواح، أو القول بتواتر النبوات في كل وقت، أو أن في كل نوعٍ من أنواع الحيوان أنبياء، ومثل ما قد ذهب إليه جماعة من القائلين به، وناظرتهم عليه من القول بأنَّ العالم محدث، وأنَّ له مدبراً لم يزل إلا أنَّ النفس والمكان المطلق وهو الخلاء والزمان المطلق لم يزل معه»[1].

(٢)ـ وصف للكتاب بصورة عامة:

١ـ يقول الدكتور عبد الكريم عثمان رحمه الله: «إن الكتاب الذي نعرضه لابن حزم دون سائر كتبه، فهو (الفصل في الملل والأهواء والنحل)، وذلك لأنه من أجمع البحوث المستقصية في الديانات والنبوات، وآراء الفلاسفة والخلاف بينهم، وبين أصحاب الملل، والرد على مفكري الألوهية ومعتنقي الأديان المخالفة للإسلام».

٢ـ سبق عالمنا بكتابه هذا أوربا ببضعة قرون، لأن تأريخ الأديان في أوربا لم يعرف إلا في منتصف القرن التاسع عشر.

٣ـ ويعد الكتاب مثلاً رائعاً على مقدرة ابن حزم الهائلة في الجدل، وطول باعه في المناقشة وصلابة عوده في مضمار التحدي الفكري.

---

(١) الفصل ١/ ١٠.

٤ـ وقد عرض فيه لجميع الاتجاهات الفكرية التي عرفها تاريخ الإنسانية حتى عصره سواء منها ما كان دينياً أم فلسفياً، وهاجم الأفكار المخالفة هجوماً شديداً، وكان للسوفسطائيين واللاأدريين النصيب الأوفى من هذا الهجوم.

٥ـ أما في عرضه للفرق الإسلامية، فإن ابن حزم لم يكتف بدراسة أرائها، ومعرفة أدلتها، وإنما كان يدرس إلى جانب ذلك مختلف البواعث النفسية والاجتماعية التي ساعدت على كثرة هذه الفرق وتشعبها مع اهتمامه في الوقت نفسه بالكشف عن الأسباب التي جعلتها تختار هذه الآراء.

٦ـ اعتمد شيخنا في نقاشه للأديان والملل والفرق على أساسين أولهما: المبادىء العقلية المقررة في أوائل الحس وبدائه العقل، وثانيهما: النصوص، وهو يرفض في نقاشه بوحي من مذهبه الظاهري نظريات التأويل والباطن، لأنَّ دين الله ظاهر ولا سرّ تحته، ولأن الرسول ﷺ لم يكن عنده سرٌّ، ولا رمز، ولا باطن إلا ما دعا الناس جميعهم إليه[١].

٧ـ يصف أبو عبد الرحمن بن عقيل هذا الكتاب بأنه: «هو أحد كتب قلائل يفخر بها التراث العربي والإسلامي في هذا العصر»[٢].

---

(١) معالم الثقافة ص ٣٣٦ـ ٣٦٧.

(٢) ابن حزم خلال ألف عام ١/ ١٧٩.

٨ـ ويقول الدكتور أحمد بن ناصر الحمد: «وهو عبارة عن تاريخ انتقادي للمذاهب البشرية عموماً أهل الأديان وغيرهم؛ وهو لا يتناول فيه فرقة إلا عرف دقائقها، وحاور فيه كأحسن ما يحاور فيلسوف، وقد جادل جدالاً استأثر بكل ما فيه من ذكاء وعمق وبصر نافذ، وهو لا يبارى في نقد تلك الأديان، وكذلك في نقد الفرق الإسلامية»[1].

٩ـ ويقول الدكتور عبد الكريم خليفة: «واحتل مكانة كبيرة عند الأوربيين إذ لقبوا مؤلفه من أجله بلقب مؤسس علم الأديان المقارن»[2].

وبعد: فهذه لمحة عن كتاب أبي محمد (الفِصَل)، وبه ننتهي من التعريف بنبوغه في معرفة الأديان والفرق، وبهذا ننتهي من بحث جوانب نبوغ الرجل، ولا شك أن ثمة جوانب أخرى لنبوغه لم نطرقها، لكن حسبنا الوصف العام، وإلا فلا يطلع على نبوغ أبي محمد إلا من جاثاه الركب، وقعد بين يديه، مستأنساً بكلامه، قادحاً بزنده، ناطقاً بحجته، مطلاً من نافذته، واسع الاطلاع على تراثه كاتساع معرفته.

أقول: بكل هذا يمكن للمرء أن يطلع على جوانب نبوغ

---

(١) ابن حزم وموقفه ص ٨٦.
(٢) ابن حزم حياته وأدبه ص ١٣٤ـ١٣٥.

أبي محمد، أو يحسب أنه يمكنه الاطلاع، وفي ختام هذه الوقفة استميح القارىء عذراً من زللٍ أكون قد وقعت فيه واستميح أبا محمد عذراً إن حملته تبعة قصوري، وقلة فهمي. وحسبي أني قد ترجمت له، وأردت التعريف بفضله، والله المستعان، وعليه التكلان.

المذهب الظاهري:

وبعد هذه الجولة مع ابن حزم لا بد لنا من تعريف بالمذهب الظاهري الفقهي الذي انتمى إليه هذا الرجل، ونافح عنه وكافح، وصنف حتى إنّ اسم هذا المذهب قد اقترن به في أذهان الكثيرين، وهذا يلزمنا بإعطاء فكرة تناسب هذا المقام عن هذا المذهب، وهذا ما نفعله من خلال ما يلي:

١ـ مؤسسه:

ينسب المذهب الظاهري إلى الإمام داود بن علي بن خلف، أبي سليمان الظاهري، وهو أصبهاني الأصل سمع سليمان بن حرب، وعمرو بن مرزوق، والقعنبي، وإسحاق بن راهويه، قدم بغداد وسكنها، وصنف كتبه بها، وهو إمام أهل الظاهر، وكان ورعاً ناسكاً زاهداً، وفي كتبه حديث كثير إلا أنَّ الرواية عنه غزيرة جداً، روى عنه ابنه محمد وزكريا بن يحيى الساجي، ويوسف بن يعقوب الداوري، والعباس بن أحمد المذكر. قال ثعلب: «عقله أكبر من

علمه، مات سنة ٢٧٠ هجرية في ذي القعدة منها، ودفن في منزله، وكان عمره ثمانٍ وستين سنة»[١].

٢ـ سبب تسميته بمذهب أهل الظاهر:

عن سبب تسمية المذهب الظاهري، وداود بالظاهري، يقول الدكتور محمد سلام مدكور: «وسمي بالظاهري لأنه أول من أظهر القول بظاهرية الشريعة، والاعتماد على الظاهر من النص دون تأويل فيه، ولا بحث عن التعليل»[٢]. ويقول الدكتور محمد فوزي فيض الله: «سمي بذلك لتمسكه بظاهر الكتاب والسنة»[٣]. ويقول العلامة المرحوم أبو زهرة: «لأنه لم يعتمد إلا على ظاهر الكتاب والسنة»[٤].

٣ـ موقف الآخرين من الظاهرية:

بسبب أخذ الظاهرية بالأصول التي أصَّلوها، ورفضهم لبعض الأصول والمصادر المعتمدة عند مخالفيهم من أتباع المذاهب الأخرى كما تقدم بنا بيانه عند التعريف بابن حزم فقيهاً، فقد اختلف العلماء

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٣٦٩ـ٣٧٥، وميزان الاعتدال ٢/ ١٤ـ١٦.
(٢) مناهج الاجتهاد ص ٧٠٠.
(٣) المذاهب الفقهية ص ١٣٧.
(٤) ابن حزم ص ٢٨٧.

في اعتبار خلاف الظاهرية في مسألة وجد فيها إجماع لغيرهم، تعرض التاج السبكي لهذه المسألة، وذكر فيها الأقوال الثلاثة التالية:

١ـ إنَّ خلافهم معتبر في كل أحواله، سواء أكانوا يعتمدون فيه على النص أم يخالفون، لعدم وجود النص الذي يستنبطون منه.

٢ـ إنه لا يعتد بخلافهم مطلقاً، وعلى هذا الرأي إمام الحرمين وغيره.

٣ـ وهو قول ابن الصلاح إنَّ خلافهم معتد به ومنافٍ للإجماع عند وجوده، إن كان خلافهم في غير القياس، أما إذا خالف قولهم القياس الجلي فلا يعتد بخلافهم»[1].

قلت: المسألة مبنية على أصلٍ متوهم، فكيف يكون هناك إجماع مع وجود خلاف لبعض أهل العلم في المسألة المحددة، وهذا من جهة، ومن جهة أخرى ما قالوه اجتهاد لا دليل عليه، وليس أمراً منزلاً، وعليه فما المانع من قبول خلاف قومٍ في مسألة من المسائل طالما أنَّ معهم دليل أو شبهة دليل، وما الذين ينصون على عدم الاعتداد بأعلم ولا أقرب إلى الصواب من الظاهرية فيما يقولون، والله أعلم.

---

(١) طبقات الشافعية ٢/ ٤٥.

٤ـ انتشار المذهب الظاهري:

أخذ العلم عن داود الظاهري جملة من التلاميذ الذين اتبعوا مذهبه، ونشروا علمه، وقد انتشر مذهبه فترة من الزمان، حتى قال بعض المؤرخين: «وقد استمر مذهب داود متبعاً إلى منتصف القرن الخامس، ثم اضمحل»[١]. وحول انتشار هذا المذهب يقول العلامة أبو زهرة: «ومهما يكن رأي العلماء في مذهب داود، فإن ذلك المذهب كانت له حياة في الشرق، وكانت له حياة في المغرب»[٢]، وحول تحديد فترة انتشار المذهب في الشرق يقول: «وعلى ذلك انتشر القول بالظاهر في بلاد المشرق في القرنين الثالث والرابع حتى قال صاحب كتاب التقاسيم: إنه كان رابع مذهب في القرن الرابع في الشرق، وكان الثلاثة التي هو رابعها مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك، فكأنه كان في الشرق أكثر انتشاراً وتابعاً من مذهب إمام السنة أحمد بن حنبل في القرن الرابع الهجري»[٣].

هذا عن انتشار المذهب في الشرق، وأما عن انتشاره في الأندلس، فيقول العلامة محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى: «إنَّ ذلك المذهب، وإن لم يكن له سوق رائجة بالمغرب والأندلس، كانت بذوره تنبت فيها،

---

(١) تاريخ التشريع ص ١٩٦.
(٢) ابن حزم ص ٢٩٤.
(٣) ابن حزم ص ٢٩٥

بل كان منهاجه ينتقل إليها في الوقت الذي كان يعيش فيه داود نفسه، فإنه في القرن الثالث الهجري سافرت طائفة كبيرة من علماء قرطبة المبرزين الممتازين إلى بلاد المشرق ينتهلون من علمها، ويردون موارده العذبة فيها، ومنهم من التقى بالإمام أحمد ومعاصريه كداود بن خلف وغيره، ومن هؤلاء ثلاثة، وإن لم يكونوا ظاهريين في أقوالهم، فقد كانت آراؤهم تنحو نحو الظاهر، أو تمد الفكر الظاهري بعناصر من السنة، وطوائف من الآثار، وقد أخذوا من المذهب الظاهري عدم التقيد بمذهب، والاختيار، وأخذ الأحكام من الكتاب والسنة، وأولئك الثلاثة هم: بقي بن مخلد، وابن وضاح، وقاسم بن أصبغ، فالأولان انتقلا إلى الشرق، وداود حي، والثالث تلميذهما نهج منهاجهما»[1]. ويقول أيضاً: «كان إذن للمذهب الظاهري في القرن الرابع الهجري مقام ودعاة ومدافعون، ولعله كان ذا حظ فيها [الأندلس] أكثر من الحنفي والشافعي، ولذلك وجد ابن حزم من تلقى عليه ذلك المذهب فوق الآثار العلمية التي دوّن فيها ذلك المذهب»[2] وحول سند ابن حزم في مذهب الظاهرية يقول أبو زهرة: «ولقد تسلم ابن حزم المذهب الظاهري في الأندلس، وقد صار له شيوخ اختصوا بالدفاع عنه، وكان لهم مقام في الدولة، ومقام محمود

---

(١) ابن حزم ص ٢٩٦.

(٢) ابن حزم ص ٤٠٠.

في الذود عن مذهب داود، وكان أبرز هؤلاء منذر بن سعيد، فلقد جاهر بنصرته، وقد كان شخصية علمية برزت في القضاء والفقه والعلم والخطابة، وكان لصاحبها مكانة عند الناصر الخليفة الأموي، وعند الناس، ثمَّ جاء بعد منذر هذا شيوخ تخصصوا في دراسته، وكان منهم مسعود بن سليمان بن مفلت الذي تلقى عليه ابن حزم كما ذكرنا، وبذلك انتهت تلك السلسلة إلى ذلك الإمام القوي»[١].

وبعد: فهذه لمحة تعرفنا فيها على المذهب الظاهري، مذهب ابن حزم، بما لعله يحفز الدارس إلى معرفة الرجال عن قرب دون أخذ أقوال المخالفين فيهم، والله المستعان.



---

(١) ابن حزم ص ٣٠١.

الخاتمة

وبعد هذا التطواف، والرحلة الممتعة مع أبي محمد بن حزم، والتي تعرفنا فيها على هذا الرجل الموسوعي، فعرفنا جوانب نبوغه، وأوجه فضله، وتعدد مجالات فكره، بما لعله يدفع إلى مزيد درس لتراث هذا الإمام، ولنظرة إنصاف له، ووقفة إكبار لآرائه، وقبل أن ننتهي من هذه الترجمة ننتقي شذرة مما يستجاد من كلام أبي محمد رحمه الله تعالى، وهذا ما نذكره كما يلي:

١ـ «لا مروءة لمن لا دين له»[١].

٢ـ «العاقل لا يرى لنفسه ثمناً إلا الجنة»[٢].

٣ـ «أجل العلوم ما قربك من خالقك تعالى، وما أعانك على الوصول إلى رضاه»[٣].

٤ـ «طوبى لمن علم من عيوب نفسه أكثر مما يعلم الناس منها»[٤].

---

(١) مداواة النفوس ص ٣٣٩.
(٢) مداواة النفوس ص ٣٣٩.
(٣) مداواة النفوس ص ٣٢٤.
(٤) مداواة النفوس ص ٣٤٧.

٥ـ «ثق بالمتدين، وإن كان على غير دينك، ولا تثق بالمستخف، وإن أظهر أنه على دينك»[(١)].

٦ـ «إهمال ساعة يفسد رياضة سنة»[(٢)].

٧ـ «لا يخلو مخلوق من عيب، فالسعيد من قلت عيوبه ودفنت»[(٣)].

هذه بعض كلمات أبي محمد، وهي بلا شك حكم، وبهذا ننتهي من ترجمة أبي محمد، مع الاعتذار أولا وآخراً من قصورٍ وقعنا فيه، أو زلةٍ حصلت منا، أو فهم خاطىء لحق بنا، ونسأل الله أن يجزي أبا محمد عن أمته ومحبيه ومتبعي مذهبه خير الجزاء، وأن يتقبل هذا العمل منا وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

---

(١) مداواة النفوس ص ٣٥٠.
(٢) مداواة النفوس ص ٣٥٣.
(٣) مداواة النفوس ص ٣٥٨.

فهرس المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ ابن حزم حياته وعصره، آراؤه وفقهه: للشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى. طبعة دار الفكر العربي، ودار الاتحاد العربي للطباعة بمصر، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٤.

٣ـ ابن حزم خلال ألف عام: جمع وتحقيق الشيخ أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، طبعة دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢.

٤ـ ابن حزم الأندلسي حياته وأدبه: للدكتور عبد الكريم خليفة ـ طبعة المكتب الإسلامي ـ بيروت، لبنان، والدار العربية ـ بيروت لبنان، ومكتبة الأقصى، عمان، الأردن.

٥ـ ابن حزم الأندلسي: للدكتور زكريا إبراهيم ـ طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة ضمن سلسلة أعلام العرب.

٦ـ ابن حزم صورة أندلسية: للدكتور محمد طه الحاجري ـ طبعة دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان، طبعة سنة ١٩٨٢.

٧ـ ابن حزم وموقفه من الإلٰهيات ـ عرض ونقد: للدكتور أحمد بن

ناصر الحمد ـ مطبوعات جامعة أم القرى بمكة المكرمة، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦، وهو في الأصل رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم العقيدة في جامعة أم القرى سنة ١٩٨٠.

٨ـ الأحكام في أصول الإحكام: للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، طبعة دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ لبنان، بتحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

٩ـ أخبار ونصوص أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي ـ استخرجها الدكتور إحسان عباس ـ طبعة مكتبة الثقافة ـ بيروت ـ لبنان.

١٠ـ الأخلاق والسير في مداواة النفوس: للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ـ طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ لبنان ضمن رسائل ابن حزم ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧، بتحقيق الدكتور إحسان عباس، وطبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان المفردة.

١١ـ الأدب المفرد: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ طبعة دار البشائر ـ بيروت ـ لبنان ـ بترقيم فؤاد عبد الباقي.

١٢ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين: للإمام شمس الدين بن قيم الجوزية ـ طبعة دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد.

١٣ـ الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب للإمام أبي نصر بن ماكولا ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ

بيروت ـ لبنان ـ المصورة عن طبعة المعلمي اليماني بالهند.

١٤ـ الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه والصحيحين: للدكتور نور الدين عتر ـ طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٩٠.

١٤ـ البداية والنهاية: للإمام عماد الدين بن كثير القرشي ـ طبعة مكتبة دار المعارف بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأخيرة.

١٥ـ تاريخ الأدب الأندلسي وعصر سيادة الأندلس ـ للدكتور إحسان عباس ـ طبعة بيروت سنة ١٩٦٠.

١٦ـ تاريخ التشريع الإسلامي: للشيخ محمد الخضري ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

١٧ـ تاريخ بغداد: للإمام أبي بكر الخطيب البغدادي ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان، المصورة من طبعة الخانجي.

١٨ـ تجريد أسماء الرواة الذين تكلم فيهم ابن حزم: تأليف الشيخ عمر محمود، والشيخ حسن أبو هنية ـ طبعة دار المنار ـ الزرقاء ـ الأردن ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧.

١٩ـ تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، للإمام جلال الدين السيوطي ـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف رحمه الله.

٢٠ـ تذكرة الحفاظ: للإمام أبي عبد الله الذهبي، طبعة دار الفكر

العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ المصورة عن طبعة المعلمي اليماني بالهند.

٢١ـ تقريب التهذيب: للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ طبعة دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف.

٢٢ـ التقريب والتيسير في حديث البشير النذير: للإمام النووي ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ مع التدريب.

٢٣ـ التكملة لكتاب الصلة: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار القضاعي ـ طبعة مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٥.

٢٤ـ تهذيب التهذيب: للإمام ابن حجر العسقلاني ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ المصورة عن الطبعة الهندية.

٢٥ـ توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار: للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني ـ طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ بيروت ـ لبنان ـ بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٢٦ـ جذوة المقتبس: للإمام أبي عبد الله الحميدي ـ طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ سنة ١٩٦٦.

٢٧ـ جمهرة أنساب العرب: للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ المصورة عن طبعة عبد السلام هارون.

٢٨ـ جوامع السيرة: للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ـ طبعة مطبعة السعادة بمصر بتحقيق إحسان عباس،

وناصر الدين الأسد، وطبعة دار العروبة ـ بيروت ـ لبنان ـ.

٢٩ـ جمل فتوح الإسلام: للإمام أبي محمد بن حزم ـ طبعة المؤسسة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ضمن رسائل ابن حزم.

٣٠ـ الحلة السيراء: للإمام أبي محمد عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣. تحقيق الدكتور حسين مؤنس.

٣١ـ الدرر في اختصار المغازي والسير: للإمام أبي عمر بن عبد البر ـ طبعة دار المعارف بمصر بتحقيق الدكتور شوقي ضيف.

٣٢ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني ـ طبعة دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ بتحقيق الدكتور إحسان عباس.

٣٣ـ ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل: للإمام شمس الدين السخاوي طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب سوريا، بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ضمن أربعة رسائل في علوم الحديث.

٣٤ـ رسائل ابن حزم: للإمام أبي محمد بن حزم ـ طبعة المؤسسة العربية للطباعة والترجمة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ بتحقيق الدكتور إحسان عباس، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧.

٣٥ـ رسالة أسماء الخلفاء: للإمام أبي محمد بن حزم ـ طبعة المؤسسة العربية للطباعة والنشر ضمن مجموعة الرسائل السابقة.

٣٦ـ رسالة في أمهات الخلفاء ـ للإمام أبي محمد بن حزم ـ طبعة

المؤسسة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ ضمن رسائل ابن حزم.

٣٧ـ سنن ابن ماجه: للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد ماجه ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ بتحقيق فؤاد عبد الباقي.

٣٨ـ سنن أبي داود: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٣٩ـ سنن الترمذي: للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ـ طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ورفاقه.

٤٠ـ سنن النسائي: للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ مع حاشية السندي والسيوطي عليه.

٤١ـ سير أعلام النبلاء، للإمام أبي عبد الله الذهبي ـ طبعة مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ بتحقيق جماعة من المحققين.

٤٢ـ شرح شرح نخبة الفكر: للإمام علي بن سلطان القاري ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ المصورة عن الطبعة التركية.

٤٣ـ شرح العقيدة الأصفهانية: للإمام تقي الدين أحمد بن تيمية. طبعة دار الكتب الإسلامية ـ القاهرة. تحقيق الشيخ محمد حسنين مخلوف رحمه الله تعالى، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦.

٤٤ـ شرح علل الترمذي: للإمام عبد الرحمن رجب الحنبلي ـ طبعة دار المنار الزرقاء ـ الأردن، بتحقيق الدكتور همام سعيد، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧.

٤٥ـ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم: لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ـ طبعة عزت العطار الحسيني ـ سنة ١٣٧٤.

٤٦ـ طبقات الأمم: للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد الجياني الأندلسي ـ طبعة مطبعة السعادة بمصر.

٤٧ـ طبقات الشافعية الكبرى: للإمام تاج الدين السبكي ـ طبعة مطبعة الحلبي ـ بمصر. الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣.

٤٨ـ طبقات علماء الحديث: للإمام ابن عبد الهادي ـ طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠، وبتحقيق إبراهيم الزيبق ورفيقه.

٤٩ـ طوق الحمامة في الألفة والألاف: للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ضمن مجموعة رسائل. بتحقيق الدكتور إحسان عباس ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧.

٥٠ـ العبر في خبر من عبر: للإمام أبي عبد الله الذهبي ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥ ـ بتحقيق أبي هاجر البسيوني.

٥١ـ علوم الحديث: للإمام أبي عمرو بن الصلاح ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ طبعة سنة ١٩٨٣، مع التقييد والإيضاح للعراقي.

٥٢ـ فتح المغيث بشرح ألفية الحديث: للإمام شمس الدين السخاوي ـ

طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ المصورة عن طبعة عبد الرحمن محمد عثمان.

٥٣ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل: للإمام أبي محمد بن حزم ـ طبعة مكتبة السلام العالمية بالقاهرة.

٥٤ـ فضل الأندلس: للإمام أبي محمد بن حزم، طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ بتحقيق الدكتور إحسان عباس ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧.

٥٥ـ قفو الأثر في مصطلح أهل الأثر: للإمام رضي الدين بن الحنبلي ـ طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ـ بتحقيق الشيخ أبي غدة ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٨٨.

٥٦ـ الكفاية في أصول الرواية: للإمام أبي بكر الخطيب البغدادي ـ طبعة المكتبة الحديثة بالقاهرة بتحقيق التيجاني.

٥٧ـ لسان الميزان: للحافظ ابن حجر ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.

٥٨ـ لمحات في أصول الحديث: للدكتور محمد أديب الصالح ـ طبعة المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة السادسة سنة ١٩٨٠.

٥٩ـ المتكلمون في الرجال: للإمام أبي عبد الله الذهبي ـ طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية ـ بحلب سوريا ـ بتحقيق الشيخ أبي غدة ـ ضمن مجموعة رسائل.

٦٠ـ مجلة الفيصل السعودية ـ عدد ٢٦ ـ شعبان سنة ١٣٩٩، يوليو سنة ١٩٧٩ السنة الثالثة: مقال لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري باسم: مؤلفات ابن حزم المفقودة.

٦١ـ محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية: للشيخ محمد الخضري ـ طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة.

٦٢ـ المحلى: للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ـ طبعة دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ لبنان ـ المصورة عن طبعة العلامة أحمد محمد شاكر رحمه الله تعالى.

٦٣ـ مداواة النفوس: الأخلاق والسير في مداواة النفوس: لابن حزم: تقدم.

٦٤ـ المذاهب الفقهية: للدكتور محمد فوزي فيض الله ـ طبعة لجنة مكتبة البيت ـ شركة الشعاع للنشر ـ الكويت ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥.

٦٥ـ مراتب العلوم: للإمام أبي محمد علي بن سعيد بن حزم ـ طبعة المؤسسة العربية للطباعة والترجمة والنشر ضمن مجموعة رسائل لابن حزم، بتحقيق الدكتور إحسان عباس ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧.

٦٦ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ـ لأبي محمد اليافعي ـ طبعة مطبعة حيدر أباد الدكن بالهند سنة ١٣٣٨ هـ.

٦٧ـ مسند الإمام أحمد: للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، طبعة دار الفكر، بيروت ـ لبنان.

٦٨ـ مصادر السيرة النبوية ـ للدكتور فاروق حمادة، طبعة مكتبة الثقافة ـ الرباط ـ المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥ .

٦٩ـ مطمح الأنفس، ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس: لأبي نصر الفتح بن خاقان الأندلسي ـ طبعة مطبعة السعادة بمصر .

٧٠ـ معالم الثقافة الإسلامية ـ للدكتور عبد الكريم عثمان ـ طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة السادسة سنة ١٩٨١ .

٧١ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب: لعبد الواحد المراكشي ـ طبعة مطبعة الاستقامة بالقاهرة ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٦٨ هـ، بتحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي .

٧٢ـ معجم الأدباء: لياقوت الحموي ـ طبعة مطبعة هندية بالموسكي بمصر سنة ١٩٢٨ .

٧٣ـ المغرب في حلى المغرب: لعبد الملك بن سعيد ـ طبعة شوقي ضيف بالقاهرة سنة ١٩٥٣ .

٧٤ـ المغني في الضعفاء: للإمام أبي عبد الله الذهبي ـ طبعة دار الحديث ـ حلب ـ سوريا ـ بتحقيق الدكتور نور الدين عتر .

٧٥ـ مقدمة تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ـ للشيخ عبد الرحمن المباركفوري ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ بتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان .

٧٦ـ ملخص إبطال القياس: للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن

حزم الظاهري ـ طبعة مطبعة جامعة دمشق ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠ ـ بتحقيق سعيد الأفغاني.

٧٧ـ مناهج الاجتهاد في الشريعة الإسلامية: للدكتور محمد سلام مدكور ـ طبعة جامعة الكويت ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣ .

٧٨ـ منهج النقد في علوم الحديث: للدكتور نور الدين عتر ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ طبعة سنة ١٩٨٣ .

٧٩ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للإمام أبي عبد الله الذهبي ـ طبعة دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ بتحقيق البجاوي.

٨٠ـ النبذة الكافية في أحكام أصول الدين: للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ بتحقيق محمد أحمد عبد العزيز.

٨١ـ نقض المنطق: للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـ مطبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ المصورة عن طبعة محمد حامد الفقي، ومحمد عبد الرزاق حمزة رحمهما الله.

٨٢ـ نقط العروس: للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ـ طبعة المؤسسة العربية للطباعة والترجمة والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧ ـ بتحقيق الدكتور إحسان عباس، ضمن رسائل ابن حزم.

٨٣ـ نوادر ابن حزم: للشيخ أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥ ـ مطابع الفرزدق التجارية بالرياض ـ السعودية.

٨٤ـ هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري: للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ بتحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز ـ وترقيم فؤاد عبد الباقي.

٨٥ـ وفيان الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان ـ طبعة دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ بتحقيق الدكتور إحسان عباس.



فهرس الموضوعات

* * *